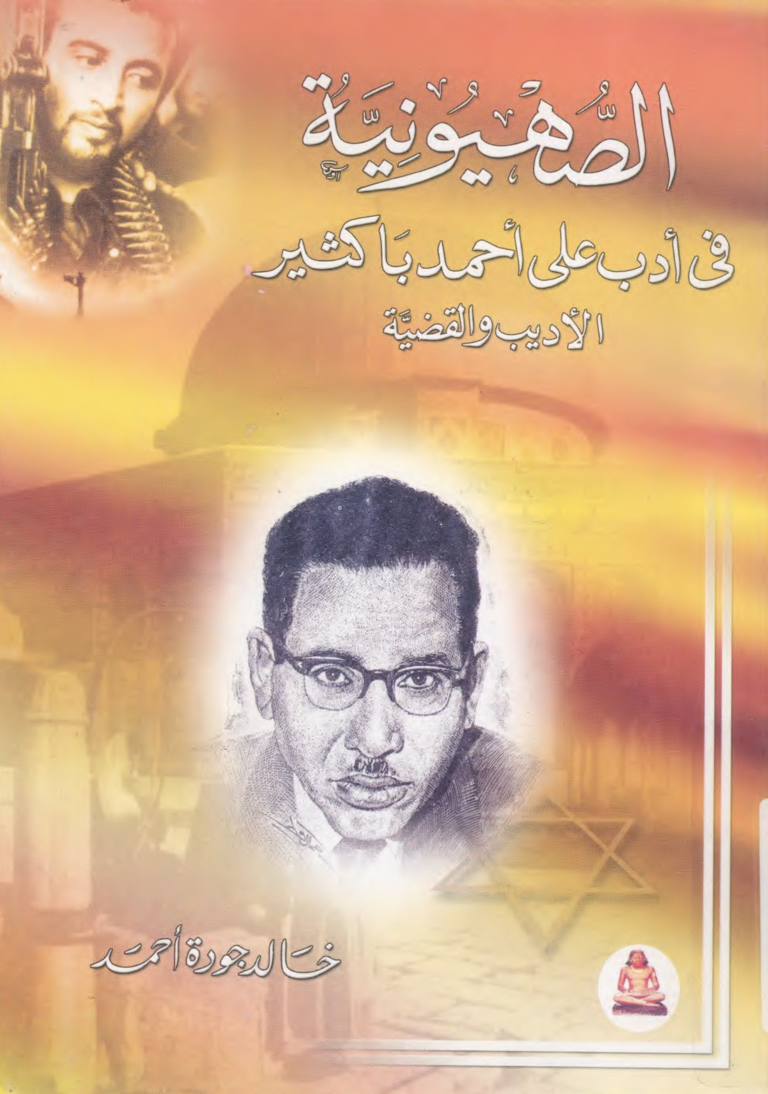


الصهيونية

في أدب علي أحمد باكثير

الأديب والقضية

خالد جودة أحمد

الصُّهيُونِيَّة

أحمد ، خالد جودة

الصهيونية فى أدب على أحمد باكثير الأديب والقضية / خالد جودة أحمد .ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٨.

١٢٨ ص ؛ ٢٤ سم .

تدمك ٥ ٢٩٦ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١ ـ الأدب العربى ـ تاريخ ونقد

٢ ـ باكثير ، على أحمد ، ١٩١٠ ـ ١٩٦٩

(أ) العنوان :.

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٥٨٢/ ٢٠٠٨

I.S.B.N - 978 - 977 - 420 - 296 - 5

ديوى ٨١٠,٩

الصهيونية

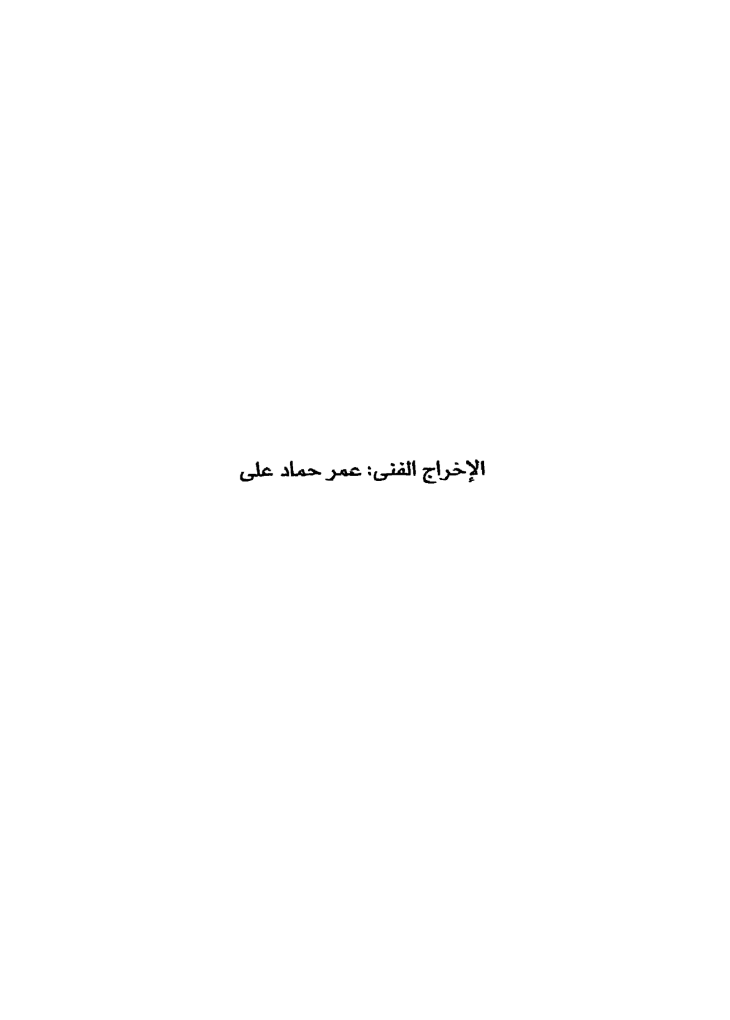
فى أدب على أحمد باكثير

الأديب والقضية

خالد جودة أحمد



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٨



الإخراج الفنى: عمر حماد على

مقدمة

أحببت الأديب الراحل الكبير «على أحمد باكثير» منذ درست روايته الرائعة «وإسلاماه» فى الدراسة الإعدادية ثم اتصلت به مرة أخرى عندما طالعت بعضًا من مؤلفاته فى مكتبة المدرسة الثانوية، وأتذكر كيف كنت أتنافس مع أحد أصدقائى القارئين فى مطالعة مسرحيات الأديب الكبير، وأتذكر أننا قرأنا مسرحيته الرائعة «مضحك الخليفة - أبو دولامة» خلال الفترات البينية بين حصص الدراسة، ثم طالعت مسرحيته الرائعة «السلسلة والغفران» وظللت دومًا أتذكر هذا الدعاء الجميل والذى يمثل الخيط الدقيق الذى يجمع أجزاء المسرحية «اللَّهم افصم.. بغفرانك.. سلاسل الخطايا.. من أعناق عبادك أجمعين»، ومن حينها شغفت بشخصية الأديب الراحل وبأدبه الثرى الممتع فاقتنيت جميع مؤلفاته والتى أصدرتها مكتبة مصر كما لم أدع مقال أو نبذة من كلمة تتحدث عن الأديب الراحل أو عن أدبه إلا احتفظت بها، ثم جعلت أعاود مطالعة مؤلفاته كل فترة، وظل داخل نفسى أن هذا الأديب الكبير لم ينل ما يستحق من تقدير وتكريم.

هذا عن الأديب فماذا عن القضية؟!

إنها قضية العرب والمسلمين الأولى على الإطلاق.. معركة الحياة أو الموت.. فما أن يفتح الإنسان عينيه ليستقبل يومه الجديد حتى تطالعه

أنباء جريمة جديدة يرتكبها الصهاينة تضاف لسجل العار: سجل جرائمهم المشين، إضافة إلى آلاف الأشرطة والكتب والدراسات والمقالات والندوات والتى تحدثت وتناولت هذه الجرائم فى حق فلسطين والقدس.

القدس: زهرة المدائن.. ومدينة الأنبياء. مسرى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أولى القبلتين، وثالث الحرمين. وعطر التاريخ، فهل يمكن إذًا تناول هذه القضية فى صفحات قصار! إنها قضية العربى المسلم لاشك فى ذلك، فالعرب والمسلمون يحيون فترة من أحلك فتراتهم التاريخية ويواجهون تحديًا مذهلاً يهدد وجودهم، ويسلب أوطانهم، ويسفك دمائهم، ويدنس مقدساتهم مما يوجب إعداد العدة والاستعداد النفسى والحضارى للمواجهة المحتومة، ومما يوجب أيضًا الإلمام الجيد بالقضية ومدارستها بعناية حتى المرحلة الحالية.

وللأدب دوره فى بعث طاقة الأمل وطريق تغيير الأوضاع، واستعادة الكرامة المهدرة.

هذا عن القضية فماذا عن القضية والأديب؟

لم يكن هناك أديبًا مسلمًا وعربيًا مهتمًا بقضية فلسطين اهتمام (باكثير) فهو صاحب الريادة فى المسرح السياسى العربى وهو أول من تنبأ بكارثة فلسطين، وهو الذى امتزج دمه ودمعه بهذه القضية المصيرية والذى ظل حتى آخر أنفاسه فى الحياة ينافح عنها بأدبه ونفسه.

هذا عن سبب شغفى بهذا الموضوع أما عن صلة بحثى لمصادره ومراجعه فقد اعتمدت بداهة على مجموعة مؤلفات الأديب المطبوعة وإن كان يصعب الإلمام بجميع العناصر فى تلك الأعمال والمرتبطة

بقضية فلسطين، ثم اعتمدت على مجموعة أخرى من الكتب والدراسات النقدية والأدبية خصوصًا كتاب «على أحمد باكثير فى مرآة عصره» فيما يتصل بحياته وأخلاقه وضمن هذه المجموعة مجموعة أخرى عن المسرح العربى، أما المجموعة الثالثة فهى الكتب التى تتناول اليهودية والصهيونية وإسرائيل كما اعتمدت على بعض الصحف والأخبار ثم أخيرًا مجموعة من المقالات الأدبية عن (باكثير).

أما عن منهجى فى البحث فقد حاولت استخدام المنهج التحليلى فقد قمت بالمزج قدر المستطاع بين الحقائق التاريخية والدينية والناحية الأدبية راصدًا لأهم عناصر القضية فى أدب «على أحمد باكثير» محاولاً التوطئة بنبذة يسيرة عن الموضوع ثم كيف اتفقت عناصر القضية مع رؤية باكثير وصياغته الأدبية، وقد حاولت الإحاطة والشمول قدر الإمكان مع جمع مادتى فى البحث من مظانها مع استعمال الترتيب والتصنيف فى ملفات حسب عناصر الدراسة ليستقر البحث نهائيًا فى مقدمة و اثنى عشر مبحثًا وخاتمة محاولاً التحليل والربط والخروج بعدد من النقاط والنتائج.

وبعد .. فرحمة الله عليك يا أديبنا الغالى، لكم أحببتك.. ولكم ازداد لك حبى بعد بحثى هذا..

وإن يكن من شكر، فليكن إلى المؤسسة الثقافية المصرية العملاقة «الهيئة المصرية العامة للكتاب» لما تؤديه من دورٍ عملاق فى نهضة مصر الحديثة.

الله ولى التوفيق

خطة البحث:

● مقدمة:

● المبحث الأول: الأديب:

١ - من هو؟

٢ - رحلة حياة باكثير (١٩١٠ : ١٩٦٩م)

٣ - أخلاقه.

٤ - باكثير «ولجنة النشر للجامعيين».

٥ - إنتاج باكثير الأدبى.

٦ - باكثير والمسرح.

٧ - اللغة والأداء الفنى عند «باكثير».

٨ - باكثير الأديب المظلوم.

● المبحث الثانى: الأديب والقضية:

١ - اهتمام باكثير بالقضية الفلسطينية.

٢ - «باكثير» أديب صاحب قضية ورسالة.

٣ - التزام باكثير.

● المبحث الثالث: خصائص أدب باكثير فى تناول الصهيونية:

١ - المعركة عند باكثير عقائدية.

٢ – استشراف المستقبل.

٣ – السخرية.

٤ – روح التحدى والصمود.

٥ – دمج الواقع بالتاريخ وشمول التناول.

٦ – التفرقة بين اليهودى والصهيونى.

٧ – دور المسيحية فى مقاومة الصهيونية.

٨ – المواقف الفنية والخطابية فى أدب «باكثير» فى تناول الصهيونية.

٩ – الكشف عن النفسية الصهيونية.

● المبحث الرابع: باكثير والمسرح السياسى.

١ – الفكر السياسى والفن المسرحى.

٢ – باكثير رائد المسرح السياسى.

٣ – التضمين فى مسرحية «شيلوك الجديد».

٤ – إله إسرائيل فى فكر «باكثير».

٥ – مسرح الإسقاط السياسى ومسرحية «مأساة أوديب».

● المبحث الخامس: سمات موضوعية فى تناول الصهيونية بأدب «على أحمد باكثير».

١ – كيد الصهاينة للمسجد الأقصى فى أدب «باكثير».

٢ – عنصرية الصهاينة فى أدب «باكثير».

٣ – العنف عند الصهاينة فى أدب «باكثير».

٤ – الأطماع التوسعية للصهاينة فى أدب «باكثير».

٥ – باكثير وعناصر الأزمة الصهيونية.

«المبحث الأول»
الأديب

١ - من هو؟

٢ - رحلة حياة «باكثير» (١٩١٠ - ١٩٦٩م)

٣ - أخلاقه.

٤ - «باكثير» ولجنة النشر للجامعيين.

٥ - إنتاج «باكثير» الأدبى.

٦ - «باكثير» والمسرح.

٧ - اللغة والأداء الفنى عند «باكثير».

٨ - «باكثير» الأديب المظلوم.

١ - من هو؟

من النادر أن تجتمع كل تلك الخلال والأحداث والرحلات والأفكار والنتائج والشجن والقيم والروعة فى أدب كما اجتمعت فى الأديب الراحل الكبير: «على أحمد باكثير» (رحمه اللّه) وإن شئنا أن نتناول جوانب حياته وفكره ونتاجه فلن تكفى مئات الصفحات والصفحات، فهو الأديب الفذ صاحب القيم الرفيعة وصاحب الريادة فى مجالات عدة من مجالات الأدب:

- فهو رائد من روادِ النهضة المسرحية المعاصرة.
- وهو رائد المسرح السياسى فى الوطن الإسلامى والعربى.
- وهو عاشق العروبة والإسلام والقومية.
- وهو الذى اجتمعت لديه ألوان الثقافات من عربية، وإنجليزية وفرنسية.
- وهو صاحب الأخلاق النادرة الطيبة.
- وهو الأديب النابغة الذى أجاد فى جميع فنون القول.
- وهو رائد الشعر المرسل باعتراف «بدر شاكر السياب» نفسه[1].

(١) ص ٢١٣ أدباء الستينيات، محمد جبريل - «بتصرف».

- وهو صاحب الإنتاج الوفير الخصب فكان يكتب فى اليوم أكثر من عشرِ ساعات.
- وهو صاحب الجوائز العديدة فما اشترك فى مسابقة إلا فاز بها.
- وهو الحضرموتى الإندونيسى المصرى العربى.
- وهو الأديب الذى زرع البلاد العربية جميعها وساهم فى قضاياها.
- وهو المثقف الأديب صاحب الرؤية الثاقبة والبصيرة النافذة.
- وهو المظلوم الذى رغم كل ذلك أُغلق فى وجهه المسرح والمنابر الأدبية بل وهاجموه وأساءوا إليه أبلغ الإساءات.
- وهو صاحب ملحمة عمر (رضي الله عنه) والتى قال البعض عنها أنها أفضل ما دونه الأدباء بالعربية.
- وهو أديب قضية فلسطين قضية العروبة والإسلام الأولى.

هذا هو (على أحمد باكثير) وزيادة، وهذا البحث هو لقطات جد محدودة ولمحات مقتضبة سريعةِ من تناول باكثير لقضية العروبة الأولى: فلسطين.

٢ - رحلة حياة باكثير:

. الأديب «على أحمد باكثير» يمنِّى الأصل فوالده «أحمد باكثير» كان واحدًا من التجار الذين نزحوا إلى جَزائر أندونيسيا واستقر فى مدينة «سوروبايا» التى ولد فيها «باكثير» فى ٢١ من ديسمبر عام ١٩١٠م.

أما الموطن الأصلى للوالد فهو «حضرموت» وكانت تسمى «مدينة المهاجرين» تركها أبناؤها للتجارة أو التعليم، أو للفرار من الظروف الاقتصادية القاسية.

. وحرص والده على أن يتربى ويتثقف ابنه فى بيئة عربية لذلك ما أن أتم العاشرة من عمره عام ١٩٢٠م حتى أرسله إلى «سيئون» بحضرموت حيث تشرب بثقافة عربية أصيلة، وتزوج باكثير فى سن باكرة وأحب زوجته الشابة «نورباسلامة» حبًا كبيرًا، لكن اختطفها الموت وهى فى ريعان شبابها بعد سنوات قليلة من الزواج، وأثر هذا الأمر بعمق فى نفسية «باكثير»، وظل يبكى زوجته ويمده هذا البكاء بروافد من الأحزان يرتع فى فؤاده.

. وفى «حضرموت» مارس «باكثير» التدريس فى مدرسة النهضة العلمية، لكنه عقب وفاة زوجته ارتحل يبحث عن السلوى فى الرحلة

فترك حضرموت، ومكث بعض الوقت فى «عدن» ثم سافر إلى الساحل الشـرقى لإفريقيا ثم ارتحـل إلى الحجـاز، ونظـم هنـاك قصيدته فى المـديح النبوى «نظـــام البردة» وكتب أولى مسرحياته الشعرية «همـــام» أو «فى بلاد الأحقـاف» وظل «باكثير» فى الحجاز عامًا واحدًا.

- وظل متنقلاً بين مكة والمدينة والطائف وأقام صلات وثيقة مع أدبائها، ويبدو أن «باكثير» أحب أن يتم دراسته فى الجامعة فارتحل عام ١٩٣٤ إلى مصر وعمره يومئذ أربعة وعشرون عامًا ووصل القاهرة كى يدرس اللغة العربية وأصول الدين لكن شغفه الكبير بالأدب ومطالعته لآثار «شكسبير» جعلاه يغير وجهته كى يلتحق بقسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب بجامعة «فؤاد الأول» (جامعة القاهرة) وأثناء فترة الدراسة ترجم مسرحية شكسبير «روميو وچوليت» بالشعر المرسل كما ألف مسرحيته «أخناتون ونفرتيتى» بالشعر الحر كى يثبت أن اللغة العربية قادرة على استيعاب هذا اللون من الأداء كما فى الشعر الأوروبى، وكان هذا تحديًا لأستاذه الإنجليزى بالجامعة والذى شكك فى إمكانية صلاحية الشعر المرسل فى اللغة العربية، وهذا يلقى لنا الضوء حول إيمان «باكثير» العميق بعروبته وهذا الإيمان هو المشكاة التى استمد منها أعماله عن قضية فلسطين كما تعكس لديه روح المقاومة والثقة بالهوية العربية.

وبعد تخرجه من الجامعة رغب فى العودة إلى أسرته فى أندونيسيا (بلد المهجر) لكن فاجأته أحداث الحرب العالمية الثانية والتى قطعت الطريق إلى الشرق الأقصى فلم يستطع السفر وظل مقيمًا فى مصر،

وبالفعل كانت وطنه الثانى، والذى لم يغادره حتى مماته، وكان تخرجه من الجامعة عام ١٩٣٩م.

- أراد «باكثير» أن ينتفع بوقته فالتحق بمعهد التربية للمعلمين وحصد دبلوم تربوى فى التعليم عام ١٩٤٠م، وعمل بالتدريس فى المدارس الثانوية بالمنصورة.

- وظل فى مهنة التدريس خمسة عشر عامًا (١٩٤٠:١٩٥٥م) منذ كان عمره ثلاثين عامًا حتى أتم خمسة وأربعون سنة من عمره وظل منها ثلاثة عشر عامًا أعزبًا لكنه تزوج زيجته الثانية عام ١٩٤٣ من سيدة مصرية لها ابنة من زواج سابق وتلك الابنة عاملها باكثير كابنته فكانت ربيبته وظل زوجها قريبًا منه ووفيًا له.

- ترك «باكثير» مجال التدريس والتحق بمصلحة الفنون منذ إنشائها تحت رئاسة الأديب الكبير «يحيى حقى» وظل موظفًا فى وزارة الثقافة والإرشاد القومى حتى وفاته.

وكانت المصرية قد امتزجت بدماء «باكثير» فكان عربيًا مصريًا حتى النخاع، وبقى أن يحصل على الجنسية المصرية رسميًا فصدر مرسوم ملكى بمنحه الجنسية المصرية فى ١٩٥١/٨/٢٢م.

- حصل عام ١٩٥١م على منحة تفرغ لمدة عامين وكان أول من حصل على هذه المنحة وانتهى خلالها من كتابته الملحمة الإسلامية الكبرى عن الصحابى الكريم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى تسعة عشر جزءًا وفى الثبت الذى أصدرته مكتبة مصر عن إصدارات المكتبة أشارت إلى رأى بعض النقاد بتصنيف الملحمة ضمن أجود ما دون فى أدب العربية.

- أبدع «باكثير» فى أغلب فنون القول من شعر (وإن لم يجمع له ديوان إلا بعد وفاته) وفى المسرح الشعرى، وفى الملاخم المسرحية، والمسرحيات ذات الأجزاء والمسرح النثرى وفى الرواية وفى الترجمة، كما كان نجمًا ساطعًا ومساهمًا بقوة فى الحياة الثقافية والمسرحية كما أن له محاضرات صدرت بعنوان «المسرحية من خلال تجاربى الشخصية»، ورغم هذا الإنتاج الوافر نجد أن المطبوع منه أقل من المخطوطات والمسرحيات المنثورة فى آفاق الصحف والتى لم تنشر بعد، كما نشير فى فقرة لاحقة.

- توفى رحمه اللّٰه فى أول رمضان الموافق ١٠ نوفمبر ١٩٦٩م، ودفن بمدافن الإمام الشافعى فى مقبرة عائلة زوجته المصرية.

- ويصف زوج ربيبته لحظات حياة باكثير الأخيرة:

«أما وفاته فقد كانت مفاجأة مأساوية لنا نحن أفراد أسرته وللحياة الأدبية ولمحبيه وعشاق فنه فى العالمين العربى والإسلامى، وذلك لأنه كان حتى يوم وفاته فى منتهى الصحة والنشاط» والحقيقة أنه كان مريضًا بالقلب وقد عاودته أزمة قلبية قضت عليه، ويقول «عمر عثمان» زوج ربيبته:

«وإذا بى أرى ملامح وجهه تتغير وهو يقول لى: اسندنى يا عمر... لا إله إلا اللّٰه».

٣ - أخلاقه:

كان الأديب «على أحمد باكثير» صاحب خلق رفيع وفضائل وشيم كريمة سامية وكان ذو طبيعة حيِيه خجول اتفق على ذلك جميع من عاصروه ولو أفردنا لذلك بحثًا ما اكتفينا به فى بيان خلال هذا الأديب النابغة.

- «كان على قلة موارده كريمًا ومضيافًا لم أشهد فى حياتى أكرم منه»[1]. هذا هو قول زوج ربيبته (عمر عثمان العمودى) ويصفه أيضًا:

- «لقد كان الأستاذ «باكثير» عاطفيًا للغاية تؤثر عليه أبسط المواقف وتسعده كلمة طيبة»[2].

- وكان غاية فى التواضع والبساطة، يقول: د. عمر عبد الله بامحسون:

«أوقعنا الأديب الكبير فى دائرة سحره وتواضعه، لقد أحسسنا ونحن جلوس إليه أننا نجلس إلى رجل بسيط فى داره بحضرموت... لقد ظهر «باكثير» عملاقًا فى تواضعه وبساطته»[3].

---

(١) ص ١٤٩، على أحمد باكثير فى مرآة عصره.

(٢) ص ١٥٠، مرجع سابق.

(٣) ص ١٥٥، مرجع سابق «بتصرف».

- وكان صموتًا يقول «محمد جبريل»: «لكنه كان صموتًا، لا يتحدث إلا بالقدر الذى يريد توصيله، وكثيرًا ما تحدد المعنى فى كلمتى: نعم، ولا»[٤].

- ويصفه «محمد عوده» بالذخر الروحى: «لقد كان «باكثير» يتميز بصدقه وتواضعه وبساطته، ولابد من الاعتراف أن «باكثير» كان ذخرًا روحيًا نادرًا[٥].

- ويصفه «حسن عبد اللّه القرشى»: «كان على أحمد باكثير مثلاً عاليًا من مُثل الرجولة والثقافة المتعددة الألوان، وكان مثابرًا على الود مع أصدقائه وإخوانه، ودءوبًا على الإنتاج الخصب، مالئًا الدنيا، وشاغلاً الناس»[٦].

- ويصفه أنور الجندى قائلاً: «هكذا كانت شخصية باكثير، واضحة المعالم، صريحة قوية فى الحق، عاش حياته من أجل قضايا أمته ملتزمًا، وحول الفن القصصى إلى خدمة قضايا الوطن العربى على نحو رفيع بارع، «رحمه اللّه» رحمة واسعة وأجزل مثوبته»[٧].

---

(٤) ص ٢٠٨، أدباء الستينيات.

(٥) ص ١٥٧، على أحمد باكثير فى مرآة عصره.

(٦) ص ١٤٥، مرجع سابق.

(٧) ص ٥٨، مرجع سابق.

٤ - «باكثير» ولجنة النشر للجامعيين:

كانت «لجنة النشر للجامعيين» صاحبة الفضل فى نشر أدب العديد من أدباء الثلاثينيات، والأربعينيات من القرن العشرين ومنهم أديبنا «على أحمد باكثير»، وكانت اللجنة قد بدأت النشر من عام ١٩٤٣ حتى عام ١٩٥٨م أى لمدة خمسة عشر عامًا، ولولا ما قامت به هذه اللجنة (والتى أسسها الأديب عبد الحميد جودة السحار) لم تكن الحياة الثقافية والأدبية قد تعرفت على «باكثير» حتى أن معظم أعماله قد نشرتها لجنة النشر للجامعيين ثم امتداد اللجنة وهى مكتبة مصر[1].

وقد أصدرت اللجنة خلال رحلتها ثمانية وسبعين كتابًا من ضمنها أربعة وخمسون كتابًا تضم أعمالاً روائية وقصصية لكبار كُتَّابنا منها اثنا عشر كتابًا بقلم «على أحمد باكثير» محتلاً المرتبة الأولى مع الأديب «عبد الحميد جودة

---

(١) لم ينشر لباكثير سوى كتبًا قليلة خارج لجنة النشر للجامعيين ومكتبة مصر ومنها مما وفقت فى العثور عليه مجموعة مسرحياته القصيرة «من فوق سبع سموات» فى سلسلة اقرأ عن دار المعارف، ورواية «واإسلاماه» نشرتها وزارة التعليم وأعادت طباعتها مكتبة الأسرة عام ١٩٩٨م، كما نشرت مكتبة الأسرة عام ٢٠٠٠ مسرحية «شيلوك الجديد» إحدى مسرحيات مدار بحثنا.

السحـــار» مؤسس اللجنـــة وتـلك الأعـمال صـــدرت على مـــدار ثمانية أعوام[٢].

---

(٢) شملت تلك المؤلفات التالى:

عام ١٩٤٣م (إخناتون ونفرتيتى).

عام ١٩٤٤م (سلامة القس، قصر الهودج).

عام ١٩٤٥م (واإسلاماه، الفرعون الموعود).

عام ١٩٤٦م (ليلة النهر، روميو وجولييت).

عام ١٩٤٧م (الدكتور حازم، سر الحاكم بأمر الله).

عام ١٩٤٨م (الثار الأحمر، مأساة أوديب).

عام ١٩٥١م (السلسلة والغفران).

٥ - إنتاج باكثير الأدبى:

كتب باكثير (رحمه اللّه) العديد من الأعمال الأدبية فقد كان من الأدباء المكثرين فكان لا يجد نفسه إلا مع قلمه، ولا يحيا ولا يتنفس إلا وهو يكتب، أو تراوده فكرة جديدة يكتبها، ويذكر ابن ربيبته «أنه بدأ فى مصر يعانى من آلام الظهر وقد كان نتيجة جلوسه على وضع واحد للكتابة لساعات طويلة»[١]، وبالنظر إلى برنامج يومه تعجب له فقد كان يخصص أكثر من عشر ساعات يوميًا وزيادة للكتابة (فقد كان برنامج كتابته اليومى يبدأ من الساعة الخامسة حين يستيقظ من النوم ويدخل مكتبه ولا يخرج منه إلا فى الثانية صباحًا، وأحيانًا يستمر إلى الفجر إذا وجد نفسه لا يستطيع أن يترك الصراع محتدمًا فى المسرحية دون أن يضع لها نهاية)[٢].

ويحكى أيضًا زوج ربيبته (كان - «رحمه اللّه» - بعد كل أزمة ينظر إلىَّ ويقول: «لا تظن يا عمر أننى أخاف من الموت، ويصمت لحظة ثم يقول: لكنّى أريد أن أعيش حتى أتم أعمالى الأدبية التى أزمع كتابتها» ثم

(١) مقال «أستاذى على أحمد باكثير» ، عمر عثمان العمودى، ص ١٤٩، على أحمد باكثير فى مرآة عصره، د. محمد أبو بكر حميد - «بتصرف يسير».

(٢) ص ١٤٩، مرجع سابق.

تكسو وجهه ملامح حزن حين يقول لنفسه دون أن ينتظر منى الجواب» والحقيقة أن مشروعاتى الأدبية لن تنتهى... إنها كثيرة!» ثم يضحك فجأة بسخرية ومرارة)[1] ولعله يضحك هكذا مما لاقاه من جحود وتنكر خصوصاً فى أخريات أيامه.

إحصاء أعمال «باكثير»:

يصعب بحق حصر جميع أعمال «باكثير» فللأسف لم يجمع إنتاجه المنشور فى الصحف والمجلات كما لم تطبع جميع أعماله بعد... ولولا لجنة النشر للجامعيين وبعدها مكتبة مصر لاندثرت أعمال هذا الأديب الكبير ونتناول فيما يلى بعض التفاصيل:

- يذكر الأستاذ «رجب الأزهرى» أن «باكثير» ترك خمس روايات والعديد من المسرحيات، والقصص الطويلة وآلاف القصائد[2]. وعن نفسى فلم أعثر من هذه الآلاف من القصائد سوى على قصيدته «نظام البردة» المطبوعة، وبعض أبياته فى بحث الدكتور عبده بدوى «على أحمد باكثير شاعراً»، وبعض شعره المنشور على صفحات الإنترنت.

- ويذكر الأديب «محمد جبريل» أن باكثير ترك خمس روايات طويلة و (٢١) مسرحية وملحمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فضلاً عن ثلاثة عشر عملاً أدبياً ما بين رواية ومسرحية لم تر النور بعد[3].

- يكفى أن نذكر أن «باكثير» قد كتب أكثر من سبعين مسرحية تمثيلية (أغلبها سياسية) جمع بعضها فى كتابه «مسرح السياسة»[4]

(١) ص ١٥٣، مرجع سابق.

(٢) مقال «فى ذاكرة: اليهود فى أدب باكثير»، رجب الأزهرى، ملحق الجمعة ٢٤/١١/٢٠٠٠م.

(٣) ص ٢١٥، أدباء الستينيات. (٤) ص ٢٦، فن المسرحية.

والأخير يتضمن ثمانى تمثيليات فقط إذًا يتبقى حوالى ستين مسرحية أخرى لم تقرؤها الأجيال المعاصرة، مما يوجب ويوضح أهمية توافر الدارسين على جمع هذا التراث الضخم من الصحف القديمة ووضعها بين أيدى القارئين خدمة للأدب ووفاءً لذكرى هذا الأديب الكبير.

- أما إحصاء المطبوع من نتاج أديبنا ففى أحدث قائمة لمطبوعات مكتبة مصر[1] (المكان الوحيد لطباعة أعماله) فقد ضمت ٤٥ عملاً أدبيًا منوعًا بالإضافة إلى ملحمة سيدنا (عمر) رضى الله عنه (والمكونة من تسعة عشر جزءًا).

وقد أضافت المكتبة مسرحيات جديدة لم تنشر وهى (مأساة زينب، أحلام نابليون، قضية أهل الربع، الوطن الأكبر، وأولى أعماله المسرحية «همام فى بلاد الأحقاف»، وكذا روايته «الفارس الجميل» والتى ظلت فى طى النسيان منذ نشرها على ثلاث حلقات، فى مجلة «القصة» المصرية عام ١٩٦٥م - الأعداد أرقام ١٤، ١٥، ١٦)[2] وتبقت مسرحية «الزعيم الأوحد» والتى لم تعيد مكتبة مصر طباعتها وهى العمل الوحيد (لباكثير) المطبوع فى كتاب والذى لم أطالعه أو أقتنيه.

- يذكر د. «حلمى محمد القاعود» أن (باكثير) ترك تراثًا ضخمًا من الشعر والنثر، نشر معظمه ويقى جزءً ليس قليلاً مجهول لكثيرين وبخاصة الأجيال الجديدة التى لم تعاصر «باكثير»، وهذا الجزء نشر متفرقًا فى الصحف والمجلات إبان حياة «باكثير» أو ظل مجهولاً بين أوراقه التى خلفها، أو قدم للنشر فى مؤسسات رسمية ولم يكتب له

---

(١) ص ١٦ : ١٨، قائمة مطبوعات مكتبة مصر (بتصرف).

(٢) ص ٥، الفارس الجميل، «على أحمد باكثير».

رؤية النور لأمر ما، ومازال مجهولاً من تلك الأعمال: (قاب قوسين، المحاكمة، سفر الخروج الأخير، شلبية، حزام العفة، ثمانى عشرة جلدة وغيرها)[1].

أما محقق تراث «باكثير» د. محمد أبو بكر حميد: فقد أعلن عن العثور على مجموعة نادرة من مخطوطات باكثير لم يتم نشرها من قبل وهى عبارة عن مسرحيات وقصص قصيرة وقصائد شعرية، حيث تقوم دار نشر خاصة بطباعتها تحت عنوان «سلسلة الأعمال المجهولة لباكثير» ونشر منها مسرحيته «فاوست»[2]، وهى الأسطورة التى ألفها شاعر ألمانيا الكبير «جوته» وقدم عنها دراسة قيمة د. عبد الرحمن بدوى.

(١) ص ٣٢، مجلة الأدب الإسلامى، السنة الثانية - العدد السابع - أغسطس ١٩٩٥م. مقال من تراث باكثير المجهول: رواية «الفارس الجميل».

(٢) صحيفة «أخبار اليوم» ٢٦/٥/٢٠٠١م.

٦ - باكثير والمسرح:

و «باكثير» يحتل مكان الريادة أيضًا فى نهضة المسرح العربى، وقد أشار النقاد إلى تأريخ المسرح العربى عبر حلقات ست[١]:

الحلقة الأولى: مسرحيات خيال الظل والأراجوز، وإن كان «باكثير» لا يعتد بها ويراها ظواهر لا تدخل فى التمثيل المسرحى[٢].

الحلقة الثانية: بدأها الكاتب الشامى (مارون النقاش) (١٨١٧ : ١٨٥٥م) حين قدم أولى مسرحياته «البخيل» المقتبسة من «موليير» الفرنسى وهى مرحلة النقل الفنى لتراث الغرب مع تعريب أسماء الشخوص.

الحلقة الثالثة: وقد اهتم رواد هذه الحلقة بمناقشة موضوعات عربية تتفق وطبيعة اللحظة الحضارية، ولكن بتقنية درامية تخضع لمعايير بناء المسرحية... ويمثل هذه الحلقة «محمد تيمور»، وإبراهيم رمزى، وتوفيق الحكيم، ونعمان عاشور وغيرهم.

---

(١) ص ١٣٨ : ١٤٠، مسرحية «ليلة عرس سوداء»، إشراقات أدبية، من الدراسة الملحقة بالمسرحية، عصام أبو العلا «بتصرف كبير».

(٢) ص ٢٣، فن المسرحية «بتصرف».

الحلقة الرابعة: ويدعو روادها للعودة إلى أصولنا الدرامية القديمة ومعالجة موضوعات مستقاة من صلب التراث والتاريخ.

الحلقة الخامسة: تستلهم الأساطير العالمية كأسطورة أوديب، وهذه الحلقة تهتم باستلهام التراث الإنسانى العام.

الحلقة السادسة: باستخدام القوالب الفنية الغربية الحديثة استخداماً سليماً».

وهكذا نجد أن «باكثير» يمثل فى كل ذلك الحلقات الثلاث الأخيرة ويعد المسرح هو الذى استأثر «بباكثير» كثيراً فهو تحول من الشعر (معشوقه الأول) إلى كتابة المسرحية الشعرية ثم استقر أخيراً على النثر كأنسب صيغة لكتابة المسرحية، وعلى المسرح ساهم باكثير أعظم مساهمة فى قضية فلسطين مع رعاية جميع الشرائط الفنية، كاتباً لجميع تنويعات المسرح السياسى الخطابى، والملحمى، ومسرح الإسقاط السياسى.

٧ - اللغة والأداء الفنى عند «باكثير»:

اهتم «باكثير» اهتمامًا بالغًا باللغة العربية باعتبارها واجب دينى فهو يراها مقدسة لاتصالها الحميم بالإسلام، وهى جزء من العروبة وأساس لها، يقول الدكتور «عبده بدوى»: فى بحثه القيم عن «على أحمد باكثير شاعرًا» أن باكثير كان على فمه دائمًا تعليق (ابن تيمية) على الحديث الشريف: «من يحسن أن يتكلم العربية فلا يتكلم بالعجمة، فإنها تورث النفاق» فكان يقول: «أعلم أن اعتياد اللغة يؤثر فى العقل والخلق والدين تأثيرًا قويًا بينًا.. كما يؤثر أيضًا فى مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والخلق والدين، وأيضًا فإن تعلم اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا باللغة العربية، وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب»[1].

- وشعر «باكثير» يموج بالتفاخر بالعروبة كقوله:

ثمانون مليونًا يباهون كلهم بخير لغات الأرض والذكر شاهد
ألا كُل شىءٍ ما خلا اللَّه باطلٌ ألا كل شىءٍ ماخلا العرب بائدًا[2]

---

(١) ص ٢٨٢ : ٢٨٤، خمسة من شعراء الوطنية «بتصرف».

(٢) ص ٢٨٤، مرجع سابق نقلاً عن كتاب «شعراء اليمن المعاصرون» لهلال ناجى، ص ٢٣٢.

وتتعدد شواهد عناية «باكثير» باللغة العربية فى صياغاته الأدبية منها:

١ - الحادثة التى ذكرها الأديب الكبير الراحل فى كتابه «فن المسرحية من خلال تجاربى» والتحدى الذى دفعه للتجديد فى شكل الشعر العربى ليحقق ريادته المتميزة فى مجال ابتكار شعر التفعيلة فى الأدب العربى المعاصر ،وذلك كبرهان عملى فى الرد على أستاذه الإنجليزى الذى اتهم اللغة العربية بالقصور عن البراعة فى الشعر المرسل فكان رد «باكثير» عليه أنه ممكن تحقيق هذا التجديد فى اللغة العربية فهى لغة طيعة تتسع لكل شكل من أشكال الأدب والشعر[1].

أما عن الأداء الفنى فى المسرح عند باكثير فقد ضمنها كتابه القيم «فن المسرحية» وأوضح عن وجوب اتباع القواعد الفنية والدرامية لها بالنسبة للمسرح، وقد أوضح عن عناصر التأليف المسرحى من رسم الشخصية أو (التشخيص) ويعد بعض الكُتَّاب أن تلك هى أهم عناصر المسرحية ثم الصراع والانتقال التدريجى والحركة والحوار وواقعية الحوار، والبناء (التخطيط) والرمز... وهكذا.

---

(١) ص ٢٨٥، مرجع سابق «بتصرف».

٨ - «باكثير» الأديب المظلوم:

اتفق كثير من النقاد والكاتبين أن (باكثير) لم يحصل على حقه من التكريم والتقدير، وأنه تم تجاهله ومحاربته وتغليق الأبواب أمامه والغض من شأنه، وفى تقديم قائمة بمؤلفاته:

(وتظل قضية إبعاد «باكثير» عن المسرح والوظيفة، وإبعاده عن كل دوائر الضوء جريمة من جرائم العصر عجلت بموته فى العاشر من نوفمبر ١٩٦٩م، ويعتبره النقاد المنصفون من أعظم من كتبوا المسرحية العربية إن لم يكن أعظمهم)[١].

ويذكر (علاء الدين وحيد) مدى ضرواة الإرهاب الفكرى «لباكثير» قائلاً:

كان «على أحمد باكثير» بالذات، من أكثر الذين هاجمهم الإرهاب الفكرى بضراوة تساؤل يخطر على البال وهو يذكر كيف كان الفنان الكبير كما هو معروف شديد الهدوء والحياء، لا يفكر فى المساس بأحد مهما أساء إليه... فكما أن كاتبنا الكبير فنان صاحب موهبة أصيلة، فهو أيضًا صاحب فكر مبلور ورؤية متكاملة تكون فلسفة

---

(١) ص ١٦، قائمة مطبوعات مكتبة مصر.

واضحة لم تتناقض منذ صباه، وحتى وفاته. ولم يشفع له هذا كله، وعوملت أستاذيته كأنه أديب ناشئ... كانت جريمته عند أصحاب الإرهاب الفكرى... صدقه وأمانته مع نفسه ومع قرائه... وقبل هذا فكره العربى الإسلامى»[1].

- ويذكر أيضاً زوج ربيبته (عمر عثمان العمودى):

«أما مرض القلب فقد بدأ عنده فى سنواته الأخيرة عندما أسفرت الحرب عليه فى مجال المسرح عن وجهها القبيح، وبدأ قراصنة «المسرح القومى» فى الستينيات يسحبون البساط من تحت قدميه من خلال استلام مسرحياته، والصمت عنها بل أحياناً يأخذ مكافأة المسرحية ثم لا تعرض، وكانوا يريدون حرقه بذلك لأنهم يعرفون أن «باكثير» آخر من يحرص على الفكر»[2].

بل لقد وصل الأمر إلى كتابة اسمه فى إعلانات السينما لقصصه أو المسرح ببنط صغير للغاية، وذلك وكما أغفلوا كتابة اسمه مدد طويلة.

ويتعجب أحد الكاتبين من إهمال آثار «باكثير» الأدبية قائلاً:

«فلماذا لا يبذلون الجهد؟ (يقصد النقاد)، فى دراسة أدب إسلامى متميز نذر أصحابه أنفسهم لله، وأنتجوا آثاراً أدبية أصيلة وجميلة؟

ولماذا لم نتناول - مثلاً - «باكثير»، وهو واضح فى إسلامياته، ومظلوم من النقاد والدارسين لهذا السبب بالذات؟

---

(١) ص ٢١: ٣٢، مسرحيات فى الوهج والظل، «علاء الدين وحيد» «بتصرف».

(٢) ص ١٥١، «على أحمد باكثير فى مرآة عصره».

ولماذا لا نهتم إلا بالمشاهير فقط من شعراء وقصاص؟ ألا يوجد فى هذا الجيل من يستحق الاهتمام، ولعله يفوق أولئك إذا وجد الرعاية والتشجيع والنقد الصحيح؟»[1] فكان التزامه القومى سببًا فى التنكر له، فقد لاقى باكثير (وكل صاحب نعمة محسود) حسد وكراهية شديدة من جانب الحاقدين عليه خصوصًا ممن خالفوه فى فكره وقناعاته العربية والإسلامية والقومية، فهو ورغم أدبه العظيم لم يصعد اسمه كأسماء معاصرين له، يذكر «عبد الفتاح البارودى»: أن «نجيب محفوظ» كان يعمل فى (مصلحة الفنون) التى كان يديرها «يحيى حقى» وكان مكتبه فى عمارة بشارع القصر العينى وكان يزامله «على باكثير» فى نفس الحجرة والتى اشتهرت باسم (حجرة الخُرّس) حيث كان الاثنان لا يتكلمان إطلاقًا، وأيضًا لا يكلم أحدهما الآخر وعندما سأله: ما رأيك فى روايات «نجيب محفوظ»؟ فرد عليه بتواضعه المعروف به: روايات عظيمة. فقال له: وما الدليل؟ فرد عليه: إن الفن هو الجمهور. فقال له: وما الفرق بين رواياته وبين رواياتك؟ فقال بدون أى تردد أو تفكير: رواياته أعظم من رواياتى[2].

«فباكثير» من جيل عظماء الأدب فى العصر الحديث.

---

(1) مقال «حول الأدب الإسلامى»، «محمد حسن بريغش»، ص ٨٧، مجلة الأمة، العدد الثلاثون، جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ - مارس ١٩٨٣م.

(2) مقال «البارودى يتذكر»، «عبد الفتاح البارودى»، مجلة أكتوبر، ١٩٩٤/١٠/٢٩م.

المبحث الثانى
«الأديب والقضية»

١ – اهتمام «باكثير» بالقضية الفلسطينية.

٢ – «باكثير» أديب صاحب قضية ورسالة.

٣ – التزام «باكثير».

١ - اهتمام باكثير بالقضية الفلسطينية:

انفعال «باكثير» بهموم أمته يثبت فعلاً أنه نموذج الأديب الذى يتحمل بأعباء قضايا وطنه، ويعيش مازجًا هذا الوعى الحى بأدبه الرفيع فيخدم القضية خير خدمة، ولعلنى أقتطف بعض الفقرات التى تصور كم كان «باكثير» منفعلاً ذا عاطفة حارة وجياشة نحو قضايا أمته العربية والإسلامية، الأمر الذى دفعه لصياغة أدبه الزاخر:

١ - على لسان الأديب نفسه عند عرضه لحالات علاقة الموضوع بالفكرة الأساسية فى المسرحية: «أما الحالة الرابعة وهى أن يعانى الكاتب أزمة نفسية كأن يكون فى حزن شديد، أو يأس مرير فيتلمس متنفسًا عنها فى عمل مسرحى... كان ذلك على أثر حرب فلسطين التى انتهت بانتصار اليهود على الجيوش العربية مجتمعة فقد انتابنى إذ ذاك شعورًا باليأس والقنوط من مستقبل الأمة العربية، وبالخزى والهوان مما أصابها. أحسست أن كل كرامة لها قد ديست بالأقدام فلم تبق لها كرامة تصان، وظللت زمنًا أرزح تحت هذا الألم الممض الثقيل ولا أدرى كيف أنفس عنه...»[١].

(١) ص ٥٨ فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية - «بتصرف».

وقد أشار «باكثير» إلى ذات المعنى أكثر من مرة فى ثنايا كتاباته وأيدها بإنتاجه الخصب الغزير.

٢ ـ ويوضح د. «حلمى محمد القاعود» دور «باكثير» ورؤيته لمشاكل أمته واستشرافه للمستقبل بقوله:

«باكثير كان على عهده دائمًا، وفيًا لواقع أمته، ومتأثرًا به، ومتفاعلاً معه، ويحاول بقدر طاقته أن يشارك بقلمه فى التعبير عن هموم عصره، وطموحات قومه.. وقد نجح دائمًا فى تحقيق غايته، على الأقل من الوجهة الفنية، فضلاً عن استشرافه للمخاطر والمشكلات، التى كانت ومازالت تتربص بالعقيدة والأمة جميعًا، مما جعله يسبق الكثيرين من أبناء جيله فى توقع ما تعانيه الأمة الآن.. لذا كان حريصًا على أن يحث الناس على مواجهة اليأس والإحباط، واقتحام العقبات والمصاعب، وتجاوز المحن والهزائم، مذكرًا إياهم بمواقف تاريخية مشابهة، وبأمجاد قديمة سابقة، كى لا يقعون فريسة الضياع والاستسلام»[1].

٣ ـ الرائد لقضية فلسطين فى فن المسرحية العربية: ويذكر «خيرى حماد»: «كان على أحمد باكثير (رحمه اللَّه) من أوائل إخواننا العرب الأدباء الذين تفهموا قضية فلسطين ووعوا خطرها قبل نكبة سنة ١٩٤٨م، ويتفرد باكثير بأن يكون الأديب العربى الوحيد الذى أعطى لقضية فلسطين جُل اهتمامه فى مسرحياته، وتنبأ بقيام دولة إسرائيل فى مسرحية «شيلوك الجديد» والتى كتبها سنة ١٩٤٥م، وحذر فيها من

---

(١) ص ٣٢، مجلة الأدب الإسلامى، أغسطس ١٩٩٥م، مقال «من تراث باكثير المجهول» رواية «الفارس الجميل».

الهجرة اليهودية والدعم الذى يقدمه كلاً من الغرب والشرق لإسرائيل.
فى مسرحياته التالية وفى العديد من التمثيليات القصيرة، وهذا كله يفيض بوعيه العميق وإحساسه الإسلامى العربى الصادق بمأساة فلسطين، لأنه رأى فيها لا مأساة العرب وحدهم وإنما مأساة المسلمين جميعًا، وهذا كله يجعله رائد قضية فلسطين فى فن المسرحية العربية لا يدانيه فى هذه الريادة أديب آخر»[1].

٤ - باكثير يبكى فلسطين: كان باكثير يبكى قلبه لمأساة فلسطين وكان مهتمًا بها اهتمامًا شديدًا وضح ذلك من متابعاته واطلاعه بكل ما يتصل بالقضية، ولم يقف الأمر عند هذا الحد وكفى بل (وزار باكثير فلسطين فى رحلة أعدها مؤتمر أدباء وكتاب فلسطين إلى قطاع غزة. كان ذلك قبيل الهزيمة بقليل وكأن اللّه أرسله إلى تلك الأرض الطيبة ليشهد غروبها وذهابها من أيدى الإسلام والعروبة، وكان باكثير أقل الجميع مرحًا فى تلك الرحلة بل لعله كان الحمامة الحزينة فى ذلك السرب، لأن شعورًا تملكه بأن هذه الأرض ستفلت من أيدينا فى وقت قريب فصدق حدسه رحمه اللّه)[2] وفى تلك الرحلة ذاتها لأحد رفاقه: «يا أخى إنى أرى أن البقية الباقية من فلسطين ستضيع مادمنا على هذه الحال[3] وصمت! فعجبًا لهذا الأديب الفذ الذى تنبأ بكارثة ١٩٤٨م ثم تنبأ بكارثة ١٩٦٧م.

وفى الرحلة ذاتها قام (باكثير) خطيبًا فى الحاضرين فى ندوة خاصة شرح فيها قضية فلسطين، وحدد الواجب الملقى على عاتق الأمة العربية والإسلامية.

---

(١) ص ١١٨، على أحمد باكثير فى «مرآة عصره».

(٢) ص ٩٠، مرجع سابق، «بتصرف». من مقال «محمد عبد الغنى حسن».

(٣) ص ١٢٠، مرجع سابق.

ويذكر (خيرى حماد): «وذهبنا فى اليوم التالى كما أذكر إلى «بيت حنون» وكان بيت حانون هو الحد الفاصل بين قطاع غزة والأرض التى تحتلها إسرائيل، ووقفنا هناك على الحدود كلنا معشر الأدباء، وأبصرت بالدمعات تتساقط من عينى الأستاذ المرحوم الفقيد الغالى وهو يقف عند ذلك الشريط، وعلى بعد أمتار قليلة فيرى الثكنة الإسرائيلية وقد ارتفع عليها العلم الإسرائيلى.. رأيت عبرات «باكثير» فلم أعجب، فلقد أحب باكثير فلسطين كما أحب وطنه حضرموت والقاهرة، وكل وطن عربى، بل إن لفلسطين مكانه الخاص فى نفسه رافقته طوال حياته، فلقد أحب «باكثير» فلسطين حبًا عميقًا برز فى كتبه وبرز فى تلك الرحلة...»[1].

٥ - حتى أخر أنفاسه فى الحياة: نُدر أن نجد فى التاريخ الأدبى مثل هذا الأديب شديد الإخلاص لقضيته فقد ظل يكتب المسرحية تلو المسرحية، والقصيدة تلو القصيدة لا يكل ولا يمل، ويستثمر أية فرصة ليعرف عن القضية أكثر وأكثر، ففى رحلة الكاتب الفلسطينى «أكرم زعيتر» لأمريكا اللاتينية، وعند عودته يلتقى «بباكثير» الذى ظل يستزيد عن الرحلة خصوصًا إلى جواتيمالا (والتى انتقد باكثير موقفها من القضية) وكيف ألب الكاتب الفلسطينى الرأى العام ضد فارس الصهيونية مندوب جواتيمالا فى الأمم المتحدة «جرانادوس»، فكتب باكثير فى اليوم التالى مباشرة مسرحية من أجمل مسرحياته ذات الفصل الواحد، وجعل عنوانها «جردس وترمن» إذا اشتق فعل جردس من «جرنادوس» وفعل ترمن من «ترومان»، وكلا الأخوين ألد عدو للعرب[2] (وتلك المسرحية لم تقرؤها الأجيال المعاصرة).

(١) ص ١١٩، مرجع سابق.

(٢)ص ٩١ : ٩٢، مرجع سابق. «بتصرف».

بل وقام أيضًا بترجمة مسرحيته «شيلوك الجديد» للغة الإنجليزية وقدمها لإحدى دور النشر الأجنبية فلم تنشرها له.

وحتى آخر أنفاسه فى الحياة ينافح عن قضية الإسلام والعروبة «قضية فلسطين» فقبل وفاته بخمسة أيام جلس مع (خيرى حماد) وقال له إنه يعتزم أن يكتب مسرحية جديدة عن المقاومة الفلسطينية، وإنه يطمح قبل الشروع فى كتابتها فى القيام بزيارة لمنطقة الأغوار فى خطّ المواجهة مع إسرائيل على نهر الأردن ليعيش أيامًا مع الفدائيين. فقلت له: ومن أحق منك يا أخى «باكثير» بالذهاب إلى هناك؟ وبالفعل وجهت فى اليوم التالى رسالة إلى قيادات الكفاح المسلح على نهر الأردن أطلب الإعداد لزيارة الأستاذ «باكثير» لخط المواجهة مع إسرائيل، ولكن المنية سبقتنا واختاره الله إلى جواره»[1].

. فقد كان يود أن يضم إلى مطالعاته عن القضية مشاهداته ومعاينته بنفسه لميدان النزال بما يؤكد حرارة قلبه، ويشير بذلك إلى إخلاص الأديب لمادته الإبداعية، ودعم لخطة الإضاءة لديه بخبراته ومباشرته للواقع حتى ينقله فنيًا إلى مستوى المتلقى.

(١) ص ١٢٠، مرجع سابق.

٢ - باكثير أديب صاحب قضية ورسالة:

كان ارتباط «باكثير» بقضية الصراع بين الحق والباطل هى ارتباط عقائدى فالأدب مرتبط ارتباطًا قويًا بالعقيدة التى يصدر عنها صاحب الأدب وبالعاطفة والمشاعر التى يكنها فى أعماقه.

ويرى باكثير أن (الكاتب لابد أن يكون له هدف خاص، أو رسالة خاصة يتحمس لها ويسعى جاهدًا لتأديتها من خلال هذا القطاع من الحياة الذى يصوره فى مسرحيته. فهذا الهدف هو الذى يدفع الكاتب إلى التحمس لعمله ويحدد الإطار الذى يصوغ فيه هذا العمل، ويكون هو الجواب للسؤال الموجه إليه عن سبب إختياره لهذا الموضوع بالذات)[1].

فالأديب أصلاً صاحب قضية ورسالة فإذا اجتمع مع شرف الأدب ومهمته فى الحياة أن القضية هى قضية الأوطان والأديان هى قضية «فلسطين والأقصى»، قضية مسرى الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، لكان الأديب هو نبض أمته وروحها التى تسرى فى أوصالها يقول الكاتب السياسى «محمد عوده»:

---

(١) ص ٣٥، فن المسرحية ـ «بتصرف يسير».

«كان باكثير يعيش أحداث عصره كلها بحس الوعى المتبصر العميق وهو يقف فى مقدمة الرعيل الذى أحس بمسئولية الكاتب الملتزم.. الملتزم بهموم أمته وقضاياها الكبيرة، وكان يعبر عن آرائه ببساطة ويدلى بدلوه فى حلولها بتواضع، فإذا تأملت ما قال تجده قد أصاب كبد الحقيقة بغير حذلقة وبلا افتعال. كان يشعر أنه يؤدى رسالة الكاتب والأديب الذى لابد أن يكون ضمير هذه الأمة، وأن يكون معبرًا عنها، والجهاز الحساس الذى يعكس مآسيها وأمجادها ويحاول أن يعيد لها الثقة والاطمئنان»[1].

وحقًا فقد مثل «باكثير» هنا الضمير خير تمثيل.

(١) ص ١٥٨، «على أحمد باكثير فى مرآة عصره»، مقال «باكثير ذخرًا فكريًا وواحة روحية».

٣ - التزام باكثير:

(الالتزام فى الأدب قضية قديمة ومعادة شغلت الأدباء والنقاد العرب وغير العرب.. وما تزال شاغلهم الأكبر حتى الآن، فمنهم من يؤمن بمبدأ الكتابة للكتابة (المدرسة التعبيرية)، ومنهم من يؤمن بمبدأ التفاعل والاندماج، أى التزام الأديب فى كتاباته بقضايا عصره ومجتمعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ورفض كل ما عداها (المدرسة التأثيرية) ومنهم المعتدلون الذين يؤمنون بحياد الأدب)[1].

وباكثير يصدر فى كتاباته عن التزام عميق بقضايا الوطن المهمة وهو يستند فى ذلك إلى إسلامية متوقدة، لذلك كان يعمل فى إبداعه على تأصيل القيم الإسلامية والقومية (وتوكيد أهميتها فى حياة الجماهير العربية وتفجير ما تحمل من مبادئ قوية يمكنها أن تقف بسهولة إزاء ما ينهال علينا من المفاهيم الخارجية شرقًا أوغربًا، وكذلك ربط الحاضر بالماضى)[2] و «باكثير» معروف بالتزامه العروبى

---

(١) ص ٥٠ مقال «حول الرواية الإسلامية»، فوزى صالح، مجلة الأمة، العدد السادس والأربعون، شوال ١٤٠٤هـ يوليو ١٩٨٤م.

(٢) ص ٣٢، مسرحيات فى الوهج والظل، «علاء الدين وحيد»، كتاب الهلال.

والإسلامى العميق، الذى ألب عليه أعداء تلك القيم فحاربوه بأشنع الوسائل.

يقول د. «شوقى ضيف»:(الالتزام ليس جديداً فى الأدب العربى، بل لعل عصورنا القديمة عرفت منه صوراً أدق من الصور الحديثة، إذ كان الشاعر يناضل فى سبيل عقيدته السياسية والمذهبية بسيفه وقلمه وشعره»[1].

وقد اتسعت دوائر التزام «باكثير» فى هيئة متدرجة تبدأ من موطنه ثم تنتقل إلى الوطن العربى الأكبر لتمثل قوميته، ثم تمتد لتشمل الدائرة الكبرى بقضية اللغة والحضارة ونموذجًا لها «قضية فلسطين».

---

(١) ص ١٠٤، البحث الأدبى، د. «شوقى ضيف».

المبحث الثالث
خصائص أدب «باكثير»
فى تناول الصهيونية

١ – المعركة عند «باكثير» عقائدية.

٢ – استشراف المستقبل.

٣ – السخرية.

٤ – روح التحدى، والصمود.

٥ – مزج الواقع بالتاريخ وشمول التناول.

٦ – التفرقة بين اليهودى والصهيونى.

٧ – دور المسيحية فى مقاومة الصهيونية.

٨ – المواقف الفنية والخطابية فى أدب «باكثير» فى تناول الصهيونية.

٩ – الكشف عن النفسية الصهيونية.

١ - المعركة عند «باكثير» عقائدية:

يقول الدكتور/ «جمال حمدان»:

«إن فلسطين عين القلب من العالم الإسلامى، لا جغرافيًا فحسب بل ودينيًا أولاً وقبل كل شىء، إن يكن العالم العربى هو قلب العالم الإسلامى روحًا وموقعًا، فإن فلسطين - كمصر فى هذا الصدد - هى أرض الزاوية من العالم الإسلامى طبيعيًا، وبالفعل فإنها تقع فى صرة العالم الإسلامى تتوسطه - مابين الصين، شرقًا والأطلسى غربًا، وما بين وسط آسيا شمالاً وجنوب إفريقيا جنوبًا، إن مكانة فلسطين فى العالم الإسلامى تتلخص ببساطة وبما فيه الكفاية فى أنها منطقة النواة وقدس الأقداس فيه أرضًا ودينًا»[1].

وكانت تلك هى ذات نظرة الأديب الكبير «باكثير» لقضية فلسطين من منظور عقائدى وهى نابعة من نشأة الأديب نشأة عربية إسلامية عميقة تشربت كيانه وملأت أعطافه، وسكنت وجدانه وسرت منه مسرى الدم، «وباكثير» حين يتناول قضية فلسطين من هذا المنظور إنما يتناولها من منظورها الصحيح.

(١) ص ٣٠، اليهود، د. «جمال حمدان» نقلاً عن العالم الإسلامى المعاصر، ص ٢٠٨.

يقول الأديب «محمد جبريل» فى دراسته القيمة عن جيل لجنة النشر للجامعيين:

«كان رأى «باكثير» أن المعركة بيننا وبين اليهود هى معركة عقائدية، وإن الصّهيونية أخطر من الغزو الصليبى على العالم الإسلامى. وبالطبع، فإن هذا هو رأى الكثيرين من المهمومين بقضايا وطنهم حتى الآن. أقصد هؤلاء الذين يدركون جيداً أن السلم الزائف أخطر من الحرب»[1].

ورؤيته «إسلامية المعركة» تعود فى المقام الأول إلى حقيقة الخطر الصهيونى بما يوجب مهمة إدراكه (فالخطر الصّهيونى لا يستهدف الأرض المقدسة فى فلسطين فحسب، وإنما يمتد من النيل إلى الفرات شرقًا بغرب، ومن الإسكندرية حتى المدينة شمالاً بجنوب، وهذا وذاك يعنى نصف المشرق العربى بالتقريب، ويضم كل أرض الإسلام المقدسة وبل وكل دائرة الرسالات، ويرادف قلب العالم العربى، وفى الوقت نفسه صرة العالم الإسلامى، ولذا فإن كان ثمة للعالم الإسلامى من وحدة سياسية، فهى وحدة العمل السياسى، وهو العمل من أجل إنقاذ واستنقاذ فلسطين للعروبة والإسلام، وإذا كان من واجب العالم العربى أن يدعو إلى «قومية المعركة» فإن من واجب العالم الإسلامى كما يرى كثيرون أن ينادى إلى «إسلامية المعركة»)[2]. «فباكثير» كان يصدر فى كتاباته عن إسلامية وقومية عميقة، وكان معبراً بصدق عن هموم وطنه العربى.

---

(١) ص ٢١٨، أدباء الستينيات (جيل لجنة النشر للجامعيين)، مكتبة مصر.

(٢) ص ٣١، اليهود، د. جمال حمدان نقلاً عن ص ٢١٢ : ٢١٧ العالم الإسلامى المعاصر.

وتلك تُعد من أبرز خصائص أدب «باكثير» فى تناول «الصهيونية» حيث ينطلق فى منافحتها من منظور عقائدى.

لذلك نلحظ التضمين لآيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى (صلى الله عليه وسلم) أو الاقتباس منهما بما يخدم أفكاره الأساسية.

ويكفى للاستدلال على ذلك ذكر مسرحية «التوراة الضائعة» وفيها نرى تخاصم «هتلر» و«هرتزل» فالصهيونية، والنازية وجهان لعملة واحدة كما عبر «باكثير» فى المشهد الخيالى من المسرحية حيث نجد هذا الحوار بين الزبانية وكلاً من هتلر، وهرتزل فى قاع الجحيم، وقد اشتد بينهما العراك واللطم رغم أنهما مقترنان[1].

وفى مسرحية «إله إسرائيل» نجد الإلمام العميق بقصص الأنبياء وموقف بنى إسرائيل منهم، وكيف بدل اليهود قولاً غير الذى قيل لهم...

ويقرر أيضًا أن القرآن الكريم هو وسيلة مقاومة اليهود ففى المسرحية الثالثة «الحية» فى «إله إسرائيل» نجد هذا الحوار بين إبليس وواحد من شياطينه:

(إبليس: كلا بل كل هذا من مصر!

الثانى: مصر ذاتها كانت شوكًا يابسًا فما الذى أعاد إليها الحياة؟

إبليس: ذاك الكتاب البغيض الذى جاء به محمد.

الثانى: وهذا الكتاب قد ظل خامدًا زمنًا كالبركان الخامد حتى أقمت هذه الدولة فى أرضه فانبعث وثار)[2].

---

(١) من ص ١٤ إلى ص ١٦، مسرحية «التوراة الضائعة»، مكتبة مصر.

(٢) ص ١٤٩، مسرحية «إله إسرائيل».

٢ - استشراف المستقبل:

يتضح دور الأدب فى استشراف المستقبل وقراءة نذر الأحداث من خلال أحداث الحاضر، وهذا شئ يتوافر للأديب المهموم بقضايا أمته المنتمى إلى هويته وحضارته، الواسع الثقافة متعددة الروافد، بما يملكه من أدوات فنية وإحساس دقيق مرهف وقدرة على الرؤية من بين التفاصيل الكثيرة والأحداث الصغيرة، والأشياء التى لا يلتفت إليها الكثيرين.

و«على أحمد باكثير» من هذا النمط النادر من الأدباء الذين استطاعوا (بفضل الله) التنبؤ بتلك الكارثة الشاملة، وهنا يتضح دور الأدب حين يوظف فى خدمة قضايا الأمة ومشكلاتها، وهذا فى رأيى من أجل ألوان الأدب التى لا تخدر الشعوب وتسلب إرادتها أو تحلم بها أو تطوف بها فى وديان المتاهة والسلبية واللاعمل، أو تسكرها بالإثارة لتنشغل عن مصائرها، بل الأدب الذى يُحَفز ويقارب وينبه ويدفع إلى العمل والإيجابية، ويعطى المثل والقدرة على الأمل ومجابهة الواقع المرير ومقاومة الظلم والانهيار، أو فى كلمة ملخصة واحدة هو الأديب الإيجابى الذى ينتج الأدب الإيجابى، والذى يصوغ الحياة صوغًا جديدًا.

يذكرنى ذلك بقصائد الشاعر «أمل دنقل» وخاصة قصيدته «البكاء بين يدى زرقاء اليمامة» والتى تنبأ فيها الشاعر بكارثة عام ١٩٦٧م، وما أكثر الكوارث فى حياة العرب.

- والعجيب أن «باكثير» قد تنبأ بكارثة ١٩٤٨م فى وقت لم يكن يتصور أبدًا فيه أن تتطور الأمور إلى هذا الوضع الخطير، كما كان يراوده إحساس بالخطر فتنبأ أيضًا فى أحاديثه بكارثة ١٩٦٧م، ورغم كل ذلك لم يفقد إيمانه وثقته بدينه وقومه، «ولباكثير» نبوءةٌ نسأل اللّٰه (سبحانه وتعالى) ألا تتحقق أبدًا وهى هدم «المسجد الأقصى».

- ويقى نبوءة وتصور «باكثير» لنهاية دولة «إسرائيل».

ولكن رؤيته تلك أملتها المتغيرات المطروحة على الساحة آنذاك، فالغرب الذى ساند الصّهيونية لن يتخلى عنها أبدًا.

ورؤية «باكثير» أن نهاية الصّهيونية إنما تكون بالكفاح الشاق.

٣ - السخرية:

أديبنا الكبير (باكثير) لم يكن هو نفسه يتصور أن يكون أديبًا ساخرًا يكتب الملهاة يقول: «ولم أبدأ في كتابة الملهاة إلا بعد ذلك بسنوات حينما تهيأت لإدراك الأخطار السياسية التي تهدد أمتنا العربية على حقيقتها فأخذ السخط يغلي في نفسي على القوى الاستعمارية التي تتحكم في مصائر الشعوب العربية، ولاسيما بعدما تأزمت مشكلة فلسطين وكشرت الصهيونية العالمية عن أنيابها، وتوقح أعوانها في مناصرتها ضد مصالح العرب، وقد يبدو غريبًا أن الفكاهة والسخرية تنبعان أول ما تنبعان من السخط والحقد، ولكن تجربتي الشخصية على الأقل قد أثبتت لي هذه الحقيقة. فقد ظللت برهة بعدما زاولت الكتابة المسرحية أعتقد أنني من أبعد الناس عن الفكاهة، وأقلهم قدرة على الإضحاك والتنكيت إلى أن اشتعل السخط في نفسي للأسباب التي أشرت إليها فإذا الفكاهة والسخرية طوع بناني»[1].

ويصف تجربته في مسرحيته القصيرة «نقود تنتقم» حينما كان قلبه يمتلئ قبحًا (على حد قوله) على السكرتير العام للأمم المتحدة آنذاك «تريجفي لي» والذي كان متحيزًا للصهاينة أكثر من الصهيونيين

---

(١) ص ٢٦، فن المسرحية.

أنفسهم، ففكر فى أن ينتقم منه ويقول: (وقلت فى نفسى لأسخرن به سخرية تمزقه وتمرغه فى التراب)[1] فمالبث أن كتب مسرحيته القصيرة ثم كتب ما يزيد على سبعين تمثيلية شفى فيها غليله، وغليلنا من الشخصيات الاستعمارية من أمثال «تشرشل» و «ترومان» و«الجنرال سمطس» (ولم نقرأ للأسف سوى مسرحياته التى ضمنها كتابه «مسرح السياسة»).

والحق أن الخط الساخر فى أدب «باكثير» ظهر أيضًا فى أكثر من عمل ونتناول بإيجاز بعض تلك المواقف:

فى مسرحيته «إله إسرائيل» نجد تصورًا ساخرًا للغاية «لإبليس» الرجيم وقد أهمل أتباعه ستين عامًا منذ المؤتمر الصّهيونى فى مدينة «بال بسويسرا» حتى يصل الأمر أن تفضيل إبليس لليهود على أعوانه فهم يؤدون رسالته بإقامة ملكوت الشر على الأرض على خير وجه وأتمه ويقول إبليس مخاطبًا معاونه الثانى:

(الثانى: اعتذر لهم وسحب كلمتك وإلا فلأذهبن معهم عنك!

إبليس: اذهب! اذهب معهم يا وغد! أنت أيضًا تأكل قلبك الغيرة من شعبى المختار!

الثانى: نحن بنى النار لن ندعك أبدًا تركب على ظهورنا ابناءك القردة.

إبليس: أيها الحمير العُرج! إنى لأربأ بأبنائى سادة العالم أن يمتطوا ظهوركم! اغرب عن وجهى)[2].

---

(١) ص ٢٧، مرجع سابق.

(٢) ص ١٣٦، مسرحية «إله إسرائيل».

ويظل الخط الساخر متصاعداً حول ذات الصورة حتى تلك الصورة البالغة للسخرية عندما يبلغ الشر باليهود درجة يتفوقون بها على أستاذهم إبليس فيتنكرون لإبليس نفسه، والذى يفقد مكانته ويصبح مجرد جندى، أو واحداً من اليهود لا غير، ولا يجد إبليس فى أزمته النفسية إلا أعوانه من الشياطين ويقول لهم: (الرسالة لم تعد رسالتنا. قد أصبحت رسالة هؤلاء اليهود علام نتحمل وزرها وقد اغتصبوها منا واستأثروا بها من دوننا...)[1] ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يصل إلى أن اليهود يجعلون إبليس نفسه يفكر فى التوبة ويتجه إليها.

ومن صوره الساخرة فى مسرحية «شعب الله المختار» تلك الصورة «لكوهين» الصهيونى وهو يتلذذ بمشاهد العنف لدرجة أنه يطلب أن يحضروا له أحد ضحايا العرب المحروقين بالنابالم على الطعام كى يجمع بين اللذتين لذة الطعام، ولذة العنف والقسوة فيصاب ابنه بالمرض من جراء ذلك.

ومن الصور الساخرة مسرحية «راشيل والثلاثة الكبار» صورة رمز إسرائيل الكبرى وهى «راشيل» الداعرة التى تحمل بطفل مسخ هو دولة «إسرائيل» من ٣٣ دولة سفاحاً، ويسخر فيها «باكثير» سخرية عالقة بالأذهان لا تمحى فى تلك المسرحية القصيرة.

---

(١) ص ١٤٢، مرجع سابق.

٤ - روح التحدى والصمود:

كما تغلب «باكثير» وتحدى تجاهله بإصراره على المزيد من الإنتاج، تحدى أيضًا بتلك النظرة المستقبلية الآملة فى النصر والكرامة، وانتصار العرب فمثلاً فهو قد كتب مسرحيته «التوراة الضائعة» عقب حرب ١٩٦٧م، ولم يكن فيها متشائمًا بل يرى أن المقاومة للعدو الصهيونى سوف تتضاعف، وأن العالم سوف ينقلب على العدوان، وهو فى صياغته الأدبية يصل لقمة التحدى لروحه القوية المكافحة... كما قاوم أبناء فلسطين البررة بالحجارة أقوى وأشد وأكثر قوى العالم تكبرًا وغلظة وبطشًا وعنقًا...

وهكذا تجتمع الدوائر الثلاث فى أدب «باكثير» وهى:

(١) استشراف المستقبل بشعاع النصر والكرامة.

(٢) تحدى الباطل.

(٣) وقوة الأمل.

ثلاث قوى لا تنفصم فى فؤاد وخاطر باكثير الأديب الفذ، وبتلك القوى لا ينهزم صاحب الحق، فالهزيمة بداية تنبع من داخل النفس قبل أن تتحقق على أرض المعارك.

فرغم الهزائم المتتالية لم يفقد «باكثير» إيمانه أبدًا بقضيته العادلة كما دعا إلى المقاومة وأشاد بالفدائيين باعتبارهم الزلزال الذى يُقض مضجع العدوان.

ويشيد «باكثير» بروح المقاومة على لسان «سوردز» فى مسرحيته الثانية فى قلب مسرحيته «شيلوك الجديد» فيصف أن المؤسسة الدولية قد ضغطت ضغطًا شديدًا على العرب (ولكننا لم ننجح فى مسعانا لأننا اصطدمنا بصخرة الأمة العربية تقوم على بكرة أبيها فى وجهنا)[1].

(١) ص ١٨٠، مسرحية «شيلوك الجديد».

٥ - مزج الواقع بالتاريخ وشمول التناول:

مزج «باكثير» بين تناوله التاريخى فى إبداعه والقضايا المعاصرة فأنتج أدبه الراقى، إنها المهارة فى مزج الفن بالتاريخ، يمكن بواسطتها توصيل بعض أحداث التاريخ، بأمانة والتزام، إلى الناس فى ثوب روائى سلس هادف ومؤثر يصف «علاء الدين وحيد» معايشة «باكثير» لقضايا أمته مع مزجها بالتاريخ: «ولعل معايشة فناننا الحقيقية لمجتمعه، جعلت معالجته حتى لأزمنه ماضية وأحداث غابرة، تتفق مع جوهر هذه المعايشة للقضايا المعاصرة.. لأنه أراد أو لم يرد حمل معه صدقه والتزامه، وهو بذلك لا ينقل القارئ إلى الأمس الحى وهمومه فحسب، بلْ يجعل هذه الهموم فى مستوى الحاضر الإنسانى الذى ترتفع إليه القلعة البشرية.. وهكذا أيضًا بتحطيم السياج الذى يفصل بين الأزمنة فى وجدان المتلقى وعقله»[1].

وتتضح تلك الخاصية على وجه التحديد فى العديد من أعماله مثل مسرحيته «إله إسرائيل» و «التوارة الضائعة» ونجد أيضًا شمول التناول المبنى على فكر دقيق وفهم عميق للنفسية اليهودية، مع دراسة واعية متأنية لأركان وعناصر القضية وكل ذلك يدعمه ثقافة أصيلة من

---

(١) ص ٣٢، مسرحيات فى الوهج والظل، «علاء الدين وحيد».

منابعها الصافية إضافة إلى متابعة عن قرب كثيف للأحداث والمتغيرات المتتالية، لذلك من أراد أن يطالع قضية فلسطين كيف نشئت؟ وكيف تطورت؟ وكيف تم التخطيط والتآمر عليها؟ وما أبرز العوامل التى سببت ذلك؟ وما هى طبيعة اليهودى؟... إلخ فليس أمامه سوى قراءة أدب «باكثير» المتنوع الثرى.

٦ - التفرقة بين اليهودى والصهيونى:

«باكثير» فى رؤيته الأدبية عمد إلى الفصل بين اليهودية كدين سماوى وبين الصهيونية كحركة سياسية استعمارية تقوم على العدوان وتفريغ الأرض، وتلك التفرقة مهمة جدًا، يقول د. «عبد الوهاب المسيرى»:

(من الضرورى أن ننبه أنفسنا دائمًا إلى أننا كعرب لسنا فى معركة مع اليهودية أو مع أى من الأديان السماوية فى العالم، وأن اهتمامنا باليهودية يرجع إلى أنها، كجزء من التراث اليهودى، تعد أحد مكونات الوجدان الصهيونى/الإسرائيلى الذى تأثر بهذا التراث تأثرًا عميقًا. ولذا فاهتمامنا باليهودية نابع من اهتمامنا التاريخى بالصهيونية)[1].

وهى نفس رؤية أديبنا لذلك نراه أكد أكثر من مرة أن هناك فارقًا بين اليهودى والصهيونى كم حدد موقفنا من كلاهما:

مثلاً فى الحوار بين سيمون (اليهودى المصرى أصلاً)، «وليفى» الأمريكى فى مسرحية «شعب الله المختار»:

(سيمون: ليس فى الدنيا بلد أكرم فى معاملة الأجانب من مصر.

(١) ص ٩، اليهودية والصهيونية وإسرائيل.

ليفـــى: لا تنس أنى يهودى.

سيمون: المصريون لا يعادون اليهود، وإنما يعادون الصهيونيين ودولة إسرائيل.

ليفـــى: الشائع عندنا فى الولايات المتحدة أنهم يضطهدون اليهود.

سيمون: هذا من أكاذيب الصّهيونيين...)[1].

وتتعدد تلك الإشارات فى العديد من أعماله فاليهود عاشوا دهوراً طويلة بين ظهور العرب والمسلمين لم يتعرضوا لأى أذى بل كان العرب هم الوحيدون الذين يعطفون عليهم، ولا يهضمون لهم حقًا، فماذا حدث عندما حدث العكس وأصبحت لهم الغلبة؟ هذا ما نعرفه لدى مطالعة مسرحيات «باكثير» وإنه لا زال يؤكد على تلك التفرقة بين الصّهيونية واليهودية وقد راعيت تلك الخاصية فى تسمية بحثى.

(١) ص ٧٢، مسرحية «شعب الله المختار».

٧ - دور المسيحية فى مقاومة الصهيونية:

ويؤكد «باكثير» على هذا المعنى فى العديد والكثير من أعماله حيث يرى أن المسيحية والإسلام معًا فى معسكر واحد، وأن الخطر الذى يتهددهما واحد، وأن الصهيونية ترمى إلى القضاء عليهما معًا، وذلك وعى قومى مهم فى مقاومة الصهيونية ويكفى أن نشير هنا إلى بعض الدلالات:

● فى مسرحية «شيلوك الجديد» يتولى (ميخائيل) الشخصية المسيحية مهمة الدفاع عن العروبة والتنديد بالصهيونية، ويشترك فى مؤتمر تصفية إسرائيل ممثلاً للعرب ومتحدثًا بإسمها فى مواجهة (شيلوك) الصهيونى.

● وفى التمثيلية القصيرة «راشيل والثلاثة الكبار» نجد نفس الإدراك عند مندوب «الفاتيكان» والذى جاء لـ (بنجوريون) ليطمئن على سلامة المقدسات المسيحية ثم يكشف عن هذه الحقيقة قائلاً:

(هذا دأبكم.. تجعلون فواجركم قديسات.. ومازلتم تحتفلون بعيد استيرو إلى اليوم)[1]. ويتوجه بحديثه إلى الإنجليزى (جونبول):

---

(١) ص ٩٢، مسرح السياسة!

(نعم. أنت الذى جلبت أعداء المسيح من الأفاق ليدنسوا هذه الأرض المقدسة)[1] بل ويعبر عن دقة الفهم من خطورة الصهيونية حين يعلن الصّهاينة أنهم سوف يقيمون هيكلهم المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى، وليس على أنقاض المقدسات المسيحية فيقول لهم:

(ويلكم هل تبقى كنيسة القيامة، والقبر المقدس وغيرهما إذا ذهب المسجد الأقصى)[2].

● أما فى المشهد الخيالى من مسرحية «التوراة الضائعة» فنجد «صلاح الدين» ممثل الإسلام يوضح ويفسر «لريتشارد» ممثل المسيحية كيف يعمد الصّهاينة إلى المكر بمصائر الشعوب جميعًا مسلميها ومسيحيها وكيف دنسوا الأرض المقدسة جميعًا حتى أن «ريتشارد» يصيح: (كيف سكت العالم المسيحى كله على هذه الجريمة الكبرى؟... وإنجلترا بلادى كيف أباح لها ضميرها أن تتحمل الوزر الأكبر فى إقامة دولة اليهود؟)[3].

---

(١) ص ٩٣، مرجع سابق.

(٢) ص ٩٤، مرجع سابق.

(٣) ص ٥٥، مسرحية «التوارة الضائعة».

٨ - المواقف الفنية والخطابية فى أدب «باكثير»:

رغم غلبة بعض المواقف الخطابية فى مسرحيات «باكثير» التى تناولت اليهودية والصهيونية خصوصًا فى مسرحية «شيلوك الجديد» إلا أنها وإن كانت تعد عيبًا فنيًا فى اعتقاد النقاد والأدباء، ورغم ما تصنعه من مباشرة تأباها الحاسة الأدبية، والتى تعمد إلى تذوق المشاعر والأشياء من منظور أدبى غير مباشر، إلا أن المواقف الخطابية قد تكون مطلوبة إذا وطئت فى موضعها المناسب بلا إسراف، بما يوجب الحذر من التوسع فيها خوفًا على تحمل العمل الأدبى إلى موعظة مباشرة، ونجد أن الأديب الكبير (باكثير) قد تجاوز هذه المرحلة لاحقًا مع صياغته المتعددة للقضية الفلسطينية خصوصًا فى تمثيلياته السياسية، وقد عمد (باكثير) نفسه إلى نفى أنه قد أسرف فى المواقف الخطابية فى فقرته (الداعية الأديب) فى كتابه (فن المسرحية) فيقول:

(هل يصلح أن يكون الكاتب المسرحى داعية لفكرة خاصة، وهل يمكن لمثل هذا الكاتب الداعية الذى يستوحى موضوعاته من حماسته

المتوقدة لهذه الفكرة أن ينتج مسرحيات تعتبر أعمالاً فنية؟)[1] ثم يذكر أن الجواب على هذا السؤال بالإيجاب، ولا يعيب تلك الأعمال أو يقلل من قيمتها الفنية أنها كانت مسرحيات هادفة، أو قائمة على دعوة من الدعوات. ثم يؤكد على ضرورة مراعاة الناحية الفنية فى العمل قائلاً:

(ولكن ينبغى لمثل هذا الكاتب المسرحى ألا ينسى وهو يلتهب حماسةً للدعوة التى يدعو إليها أن المسرحية عمل فنى قبل كل شىء، فيجب ألا يجور على فنيتها بحال من الأحوال، بل ينبغى أن يحرص الحرص كله على سلامة عمله من الوجهة الفنية، وأن يدرك أن ذلك هو السبب الوحيد لجعل الرسالة التى ينطوى عليها بليغة التأثير فى الجمهور الذى يشاهده.

والخلاصة أن على هذا الكاتب أن يجعل الداعية فيه خادمًا للفنان المسرحى فيه لا سيدًا له، وإلا فليتخذ أداة أخرى غير الكتابة المسرحية كالخطابة أو الصحافة)[2]. وقد وضحت تلك الفنية فى أعمال «باكثير».

ويجب هنا أن نقوم بالتفرقة بين نوعين من المواقف الخطابية نعطى نموذجًا لها من مسرحية «شيلوك الجديد، فهناك موقف خطابى برع فيه «ميخائيل جاد» المحامى رئيس بلدية القدس وهو يتحدث إلى عبد الله الفياض الشاب موضحًا له الحقائق قائلاً:

«إن الجهاد الذى نحن فيه لأعظم وأعنف من الجهاد الذى تشير إليه. نحن فى جهاد لا يقوم به الرجال المقاتلون فحسب، بل يشترك فيه

---

(١) ص ٣٦، فن المسرحية.

(٢) ص ٣٦، مرجع سابق.

جميع الأمة كبيرها وصغيرها وذكرها وأنثاها. نحن نجاهد اليوم يابنى لنمنع ما بقى من أرض الوطن أن يتسرب إلى أيدى اليهود، إننا نقف اليوم يابنى فى وجه المذهب اليهودى الذى يتدفق على بلادنا من كل الجمعيات الصهيونية فى العالم، ويغزو مكامن الضعف فينا بأسلحته الفتاكة ووسائل إغرائه الجهنمية»[1].

وهذا الموقف الخطابى يكون مبررًا فنيًا من وجهة واحدة فقط وهى مهنته الشخصية (المحاماة)، والتى جعلته يقف موجهًا للشاب المنزلق فى الشراك. أما الموقف الخطابى الآخر فهو فى المسرحية الثانية يقف موقفًا خطابيًا فعليًا ذات الشخصية (ميخائيل جاد) عندما يمثل عرب فلسطين فى المحكمة الدولية المتخيلة، هنا الموقف الخطابى موظفًا فنيًا بل إن هذا الأسلوب هو الأنسب فى حالته.

---

(١) ص ٩٢، مسرحية «شيلوك الجديد».

٩ ـ الكشف عن نفسية الصّهاينة:

لم نجد أدبًا مثل أدب الراحل «باكثير» يوضح خلال اليهود وما هم عليه من أخلاق، ولم نجد أدبًا يحلل نفسياتهم ويلم بخططهم كما طالعنا فى أدب «باكثير»، حتى يبدو الهدف جليًا من أعمال «باكثير» خاصّة المسرحية هى كشف عقائد اليهود التى قالها أحبارهم وانقيادهم للشيطان، وسخافات أحكامهم فى التلمود وكتبهم الضالة المختلفة كما أشار «باكثير».

وقد قدم (باكثير) فى أدبه صورة متكاملة لخصال اليهود وعقائدهم فى أدبه معتمداً فى ذلك على ثقافة قرآنية وإسلامية وتاريخية عميقة سواءً فى الكشف عن أوهامهم وعقائدهم، أو فى بيان أصلز ا من الأخلاق.

ويُصعب الإلمام بجميع تفاصيل صورة الصّهيونى واليهودى فى أدب (باكثير) وإلا اضطرنا لنقل أجزاء كثيرة من مسرحياته لكننا نكتفى بالإلماح السريع المقتضب لضيق الوقت وخشية الإطالة.

أوضح «باكثير» الكثير من جرائم الصّهاينة وعلى رأسها أشنع جرائمهم على الإطلاق وهى الافتراء على الله بالكذب والبهتان بصورة

لا تخطر بعقل أحد سواهم (فقد فاقوا فى ذلك الأبالسة وعتاة المشركين والوثنيين) - (تعالى اللّه عما يتولون علوًا كبيرًا). وقد امتلأت كتبهم بتلك الأضاليل، ومنها قصة مصارعة سيدنا يعقوب إسرائيل) لربه حتى ضربه على حُق فخذه، وكان يعقوب هو الأقوى وكفى اليهودى فخرًا أنه أقوى من ربه[1].

واللّه فى رأيهم: (كما أملى عليهم ربهم إبليس كما تصور «باكثير») الرب مخيف، الرب رجل حرب، الرب سيف يقطر دمًا، الرب عمود سحاب داخل الخيمة يتكلم مع موسى وجهًا لوجه، ومن ذلك أيضًا ما ذكره باكثير فى مسرحية «إله إسرائيل» أنه سبحانه وتعالى يقضى ثلاث ساعات من النهار يلعب مع اللافياتن ملك الأسماك ولكنه ترك اللعب بعد تدمير هيكل سليمان فى أورشليم ولم ينقطع عن البكاء والنحيب و«يطوى ثلاثة أرباع الليل منكمشًا على ذاته.. مالئًا الدنيا زئيرًا ..».

كما أوضح (باكثير) أيضًا العديد من خصال اليهود وأشهرها (البخل) فنجد معظم نماذج اليهود فى مسرحياته ينطوى على حب الدنيا والتهالك عليها، والتنافس على الشىء الحقير طمعًا فمثلاً (الكواهين الأربعة) فى مسرحية «شعب اللّه المختار» يسرقون طعامهم من بعضهم البعض، ولديهم كل شىء يباع فى سبيل معبودهم (الذهب) - حتى الشرف.

أما عن تهتكهم وانحلالهم فحدث ولا حرج «فراشيل» فى مسرحية «شيلوك الجديد» هى شرك الإغراء المنصوب لاصطياد الشباب

(١) ص ٧٨: ٧٩ اليهود والتحالف مع الأقوياء - د. نعمان السامرائى «بتصرف».

العربى، وفى الصورة الرمزية «لراشيل» الكبرى (رمز القومية اليهودية) فى المسرحية القصيرة «راشيل والثلاثة الكبار» نجدها مرتع للآثام حتى يأتيها العم سام أمام الدب الروسى.

أما مسرحية «شعب اللّه المختار» فنجد فيها تمثيل دعوتهم للانحلال فالفندق الذى يمتلكه حائم وشريكه عزرا هو وكر للدعارة تمارس فيه جميع النساء الخطيئة بداية من زوجة حائم (سارة) والتى تمارس الزنا مع الكواهين، والأجانب بعلم زوجها الذى يتغاضى عن ذلك كما يستغلا معًا ابنتهما (راشيل) لذات الغرض كل ذلك فى سبيل المال.

وهكذا يكشف (باكثير) عن الكثير من خلال الصهاينة والتى هى صفات مستمرة متلازمة فى كل العصور لزوم شهوة وهوى واكتساب لا لزوم جبلة وإجبار، ومن خصال الصهاينة أيضًا التلاقى والتنافر قال تعالى: «تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى». وقد وفق باكثير غاية التوفيق فى حواره الذى أنشأه بين «كوهينوف» وكوهينسون فى مسرحية «شعب اللّه المختار» فى التوضيح عن هذه الخصلة:

كوهينوف: ما كان ينبغى أن تذكر أمامه سيرة المساعدات الأمريكية بالمرة.

كوهينسون: (هازئًا) هل أذكر له سيرة المساعدات الروسية لإسرائيل؟

كوهينوف: (ساخرًا) الروس يامستر كوهينسون ليسوا كالأمريكان.

كوهينسون: (ساخرًا) أجل لا يزال أمامهم قرن أو قرنان.

كوهينوف: (محتدًا) الروس لا يسمحون للعناصر الدخيلة أن تتلاعب بمصالح بلادهم فى سبيل دولة أجنبية.

كوهينسون: بل هم لصوص خونة. سرقوا مذهب «كارل ماركس اليهودى» ثم كفروا بنعمته وأنكروا جميله.

كوهينوف: هم على كل حال خير من الأغنياء المغفلين الذين لم يأخذوا شيئًا نافعًا من اليهود، وتركوا اليهود يأخذون منهم كل شىء.

كوهينسون: (غاضبًا) اسكت يا ابن سيبيريا يا سليل الدببة.

كوهينوف: سمعًا يا سليل المنفيين من مجرمى الإنجليز)[1].

ثم يدخل «كوهين اليهودى الإنجليزى» ليفض الشجار ويضطر أن ينفث نخامته ويدوسها بقدمه قائلاً: هذه إنجلترا أدوسها تحت قدمى. أنا يهودى قبل كل شىء ويفعل اليهود الآخرون مثله ثم يهتفون بسقوط بلادهم الأصلية قائلين: تسقط دول العالم كلها والمجد لإسرائيل.

ومن مفارقات الكاتب أن تسمع صيحة أخرى تقرر: «تسقط إسرائيل! ملعونة إسرائيل»[2]. وهكذا يبدو المشهد كأنهم على قلب رجل واحد، ولكن قلبوهم متفرقة فإذا اشتجروا ظهرت الحقيقة.

ومن عقائد الصهاينة التى رصدها «باكثير» بثقافته العميقة فى تمثيليته المطبوعة «راشيل والثلاثة الكبار» من مجموعة «مسرح السياسة»، وتلك العقيدة المتعلقة بأرض الميعاد لأن الله «وعد» إبراهيم وعاهدة على أن تكون هذه الأرض لنسله.

وهى أيضًا «أرض الميعاد» التى «سيعود» إليها اليهود تحت قيادة

---

(١) ص ٦٥، ٦٦، مسرحية «شعب الله المختار».

(٢) ص ٦٧، مسرحية «شعب الله المختار».

الماشيح (المسيح المخلص اليهودى)[1] والذى تصوره (باكثير) بالطفل الذى حملت به راشيل (رمز الفكرة القومية الصهيونية) سفاحًا من مندوبى ٣٢ دولة أيدت قرار التقسيم، ثم تم الميلاد فى ليلة ١٩٤٨/٥/١٥ الساعة الرابعة عصرًا، وهو توقيت إعلان الدولة الصهيونية، «وباكثير» فى عرضه وفق فى صياغته الفنية الرمزية وفى ذات الوقت ليس هى فكرة غامضة مبهمة، بل يصل القارئ بيسر كبير إلى مضمونها ثم تظل عالقة بذهنه على كر السنين، والأيام وذلك لبلاغة الأداء الفنى، وتوفيق الكاتب فى ربط قضيته بفنه مع إحساس عميق متفاعل مع القضية مع انسجام موضوعه على فكرته الأساسية.

---

(١) ص ١٠ : ١١ ، اليهودية والصهيونية وإسرائيل ، د. «عبدالوهاب المسيرى» «بتصرف».

المبحث الرابع
باكثير والمسرح السياسى

١ - الفكر السياسى والفن المسرحى.

٢ - «باكثير» رائد المسرح السياسى.

٣ - التضمين فى مسرحية «شيلوك الجديد».

٤ - إله إسرائيل فى فكر باكثير.

٥ - مسرح الإسقاط السياسى ومسرحية «مأساة أوديب».

١ -الفكر السياسى والفن المسرحى:

الفكر السياسى والفن المسرحى، صيغة مستحدثة من الأداء الأدبى تتفاعل مع مشـكلات الأمـة وترصـد أزماتهـا السياسـية وتعـمل عـلى إيجـاد الحـلول لهـا، يقـول د. «أحمـد العشـرى»: «إن على الفكر السياسى أن يتحرك داخل نطاق الفن المسرحى وحدوده ومنطقه وبنائه الخاص، بمعنى أن السياسة عليها أن تكتسب من خلال الفن دلالات إنسانيـة عامـة، وإلا أصبح أثـرها محدودًا، أو مسطحًا ووقتيًا»[1].

(فالسياسة فى الواقع، ليست إلا موضوعًا كغيره من الموضوعات بالنسبة للفن، فالأفكار فى المسرح السياسى لابد أن تستمد من الواقع، أو أن تحاول الاتجاه إليه حيث يحافظ المسرحى المثقف على الارتباط المباشر بين مشاعره وبين الواقع، فالمسرح السياسى كفن ثورى قادر على تغيير الحياة... فالمسرح يطرح المشكلة المعالجة بشكل مباشر ومكثف وفى فـترة زمنيـة محـددة، كأداة اتصـال حميمـة مع المتلقى تفوق غيرها من أدوات الإعـلام، إنه أداة باقيـة... فالمسـرح

(١) ص ٦، المسرحية السياسية فى الوطن العربى.

السـياسى، لا تقتصر وظيفته على تصوير الواقع الحياتى الحالى فى المجتمع فقط، وإنما تخطى ذلك إلى توجيه المجتمع ومحاولة تغييره...)[1].

وتتضح أهمية المسرح السياسى (بتنويعاته المختلفة) فى تناوله كقضية مثل قضية «فلسطين» وهى قضية حيوية بل قضية حياة أو موت، ولعل أديبنا الكبير (وهو رائد هذا المجال) قد وعى بشكل واضح تلك الأهمية لدرجة أن صرف جل جهده لكتابة المسرحية السياسية، وحين ننظر فى ذلك النتاج نعجب من توقيته ومن عناصره المتنوعة التى مازالت حتى الآن تشكل رؤية متقدمة ومتكاملة تشرح المشكلة وتقدم الحلول وتحلل النفسية اليهودية فماذا يقول «باكثير»؟

«ولانصرافى هذا عن الموضوعات الاجتماعية تعليل آخر يتصل بالهدف الرئيسى الذى يقوم عليه كفاحى الفنى... أى أن الناحية السياسية كانت تستأثر بالجزء الأكبر من اهتمامى[2] ثم يشرح أنه رغم أهمية الجانب الاجتماعى فقد كان يعود مرة أخرى للمسرح السياسى يدفعه إلى ذلك شعور متسلط متأجج (ومن المعلوم أن الفن أوثق اتصالاً بالشعور المتأجج منه بالمنطق الهادئ... من حيث كونه حافزًا إلى الخلق الفنى)[3].

---

(١) ص ٤٦ : ٤٧، مرجع سابق، «بتصرف».

(٢) ص ٤١، فن المسرحية «بتصرف».

(٣) ص ٤١، مرجع سابق، «بتصرف».

٢ - باكثير رائد المسرح السياسى:

تعددت مجالات ريادة الأديب الراحل الكبير «على أحمد باكثير» ومنها ريادته للمسرح السياسى فى الوطن العربى فى وقت لم يكن هذا الفكر الراقى قد عرف موضعه على الساحة الأدبية والثقافية، وقد اتفق النقاد على أن «باكثير» هو أول من صاغ هذا اللون من الأدب وعن طريقه نبه وحذر من الخطر الصهيونى فى وقت لم يكن أحد يتوقع أن تصل فيه الأمور فى المستقبل على النحو الذى نعرفه الآن، وهو فى ذلك يسترشد بحسه الواعى العميق وبرؤية مستبصرة تستلهم النتائج من المقدمات وترى نذر الكارثة (كارثة ضياع فلسطين) تتجمع وئيداً شيئًا فشيئًا فى الأفق البعيد، ونسوق فيما يلى بعض آراء الكُتَّاب فى تلك الجزئية:

«كان على أحمد باكثير، أول من نبه بمسرحياته إلى خطورة الاستيطان الصهيونى فى فلسطين، فكتب مسرحية «إله إسرائيل»، ومسرحية «شعب الله المختار» و «شيلوك الجديد»، وذلك قبل أن يتيقظ كتاب كثيرون إلى الخطر الصهيونى، كذلك كانت مسرحيتاه

«مسمار جحا وإمبراطورية فى المزاد» تتضمنان تعريضًا بالاحتلال الإنجليزى لمصر»[1].

«الحق أن باكثير كان من الأدباء القلائل الذين نبهوا للخطر الصهيونى فى إرهاصاته، فى نذره التى أخطأتها أعين الكثيرين، حتى ممن احترفوا العمل السياسى، أو اشتغلوا بقيادة الرأى العام. دليلنا مسرحية «شيلوك الجديد» (١٩٤٥م) التى أعقبها بمسرحية «شعب اللّه المختار» ثم «إله إسرائيل»، وبعد نكسة ١٩٦٧م كتب مسرحية «التوراة الضائعة». شغلت القضية الفلسطينية باكثير من قبل أن تنشأ دولة إسرائيل. استشراف المستقبل، فكتب «شيلوك الجديد» وتنبأ فيها بقيام دولة إسرائيل وهزيمة الجيوش العربية، وتلاها بمسرحياته الطويلة الأخرى، ومجموعة من المسرحيات القصيرة[2].

ويذكر الكاتب «محمد عودة» أن: «يعتبر «باكثير» بحق رائد المسرح السياسى الجاد الذى تتبع قضايا الأمة منذ فجر مأساة فلسطين فى الأربعينيات»[3].

ويقول د. «عبده بدوى»:

«على أن القضية التى اشعلت عقله ووجدانه كانت قضية فلسطين على نحو ما نعرف من العديد من مسرحياته، ومن قصائده، ولقد كان من الطبيعى أن يشتغل بهذه القضية من وقت مبكر جدًا، وفى الفترة التى كان فيها كثير من الكتاب العرب مشغولين بالحديث عن الجنس

(١) ص ٦١، المسرحية السياسية فى الوطن العربى، د. أحمد العشرى.

(٢) ص ٢١٧ : ٢١٨، آباء الستينيات، محمد جبريل.

(٣) ص ١٥٨، على أحمد باكثير فى مرآة عصره، د. محمد أبو بكر حميد.

والمغامرة، وغير واعين إطلاقًا بالمأساة التى تُعد للعرب يومًا بعد يوم، لقد كتب مثلاً «باكثير» «شيلوك الجديد» قبل نكسة فلسطين بثلاثة أعوام ومن العجيب أنه لشدة إحساسه بالواقع العربى المهلهل تنبأ فى هذه المسرحية بما حدث للعرب، من زراعة دولة يهود فى جسم فلسطين ولقد اقترح فى هذه الفترة «المقاطعة الاقتصادية» كسلاح يمكن ردع هذا الشر به»[1].

وقد دون «باكثير» العديد من المسرحيات السياسية التى تناولت قضية فلسطين، وللأسف فمازال هناك جزءًا من هذا التراث الضخم، وكم نرجو أن يتوافر لها عدد من الدارسين كى يستخرجوا هذا التراث وينشروه على الأجيال المعاصرة خصوصًا مسرحياته القصيرة السياسية والتى مازال أكثر من ٥٠ مسرحية منها مجهولة!

أما عن مسرحياته المطبوعة التى تناولت القضية فهى:

- مسرحية «شيلوك الجديد».
- مسرحية «التوراة الضائعة».
- مسرحية «إله إسرائيل».
- مسرحية «شعب الله المختار».
- مسرح السياسة.
- مسرحية «مأساة أوديب».

---

(١) ص ٢٧٥: ٢٧٦، خمسة من شعراء الوطنية (الجزء الثالث)، د. «عبده بدوى»، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٣ - التضمين فى مسرحية «شيلوك الجديد»:

تعد مسرحية «شيلوك الجديد» من أبرز أعمال «باكثير» التى تناولت قضية فلسطين، وتنبع أهميتها أنها المسرحية التى تنبأت بالمشكلة ووصفت الحل فى آن واحد، يذكر الناقد/«سيد قطب» رأيه فى تلك المسرحية قائلاً عنها:

«ليست أحسن أعمال باكثير، ولكنها من الناحية الأخرى، تعد أكبر عمل أدبى تصدى لقضية فلسطين من نشأتها إلى اليوم. إنها تقرير حى عن هذه المأساة. ولست أشك أنها تقدم لقضية فلسطين أعظم خدمة فى طوق عمل أدبى واحد أن يقدمها»[1].

وتلك المسرحية تعد فى ذاتها نتاج لثقافة «باكثير» العميقة بالإضافة لاهتمامه البالغ للقضية، وقراءته لكل ما يتصل بها (وهذا شأن الأديب صاحب القضية) إضافة إلى إعجابه «بشكسبير» وترجمته لإحدى مسرحياته بالشعر المرسل وهى «روميو وجولييت» (والتى حقق بها

(١) ص ١٥٧، أدباء الستينيات، محمد جبريل نقلاً عن الرسالة ١٩٤٩/١/٢١م.

«باكثير» ريادته للشعر المرسل)، كل هذا نتج عنه تلك المسرحية الرائدة ويشرح «باكثير» نفسه كيف كتب هذه المسرحية: «أول مسرحية طويلة كتبتها فى قضية فلسطين، وكان ذلك فى غضون سنة ١٩٤٤م قبل نكبة فلسطين الكبرى بثلاثة أعوام، كانت القضية تشغلنى وكنت أتابعها باهتمام سواء فيما ينشر عنها فى الصحف أو ما يُوضع عنها من الكتب، وذات يومٍ قرأت فيما قرأت أن الزعيم الصهيونى (جابوتنسكى) خطب مرة فى مجلس العموم البريطانى فضرب المنضدة بيده وهو يقول: «اعطونا رطل اللحم. لن ننزل أبداً عن رطل اللحم» مشيراً بذلك إلى الوطن القومى الذى تضمنه وعد بلفور فقلت فى نفسى: قد وجدت الضالة التى كنت أنشدها. هذه الكلمة حجة على الصهيونية لا لها وسأتخذها الفكرة الأساسية لمسرحيتى، واستحضَرت فى ذهنى رواية «تاجر البندقية» «لشكسبير» ثم أعدت قراءتها فلمحت الخطوط الأولى للموضوع الملائم للفكرة، ولم ألبث أن وضعت تصميم المسرحية ثم أخذت فى كتابتها بسهولة فائقة حتى أتممتها.

وكانت الفكرة هى أن فلسطين العربية لا يمكن أن يقُتطع منها وطن قومى لليهود - بلد دولة - دون أن يسيل الدم من الشرق العربى كله. ومثل ذلك مثل رطل اللحم الذى اشترطه «شيلوك اليهودى» فى رواية «تاجر البندقية» على التاجر البندقى «أنطونيو» لا يمكن أن يقتطعه شيلوك من جسم «أنطونيو» دون أن يسيل الدم منه فيموت. فكما استحال تنفيذ هذا الشرط المخالف للقوانين الإنسانية مع أن «أنطونيو» نفسه قد رضى به، ووقع على صك العقد الذى بينه وبين «شيلوك»، يستحيل بالأولى تنفيذ وعد «بلفور» لا لمخالفته للقوانين الإنسانية فقط

فيما يترتب عليه من حكم بالموت على شعب بأكمله هو الشعب العربى بدلاً من شخص واحد هو «أنطونيو»، بل لأن الذى أعطى هذا الوعد لا يملك إعطاءه هو بلفور بخلاف «أنطونيو» الذى كان يملك أن يكتب الصك على نفسه أما الموضوع فقائم على استعارة قصة هذه المسرحية التى كتبها شكسبير لمسرحية جديدة تعالج قضية فلسطين معتمدة على وجوه التشابه بين القضيتين فى الصورة الإجمالية».

وتنقسم المسرحية إلى قسمين: (المشكلة/الحل) «فباكثير» لم يعرض المشكلة ويسكت عنها بل عمل على إيجاد الحلول المبنية على منطق وعقيدة وفكر مستبصر، فالمشكلة هى مشكلة التسلل الصهيونى إلى فلسطين وتمكين بريطانيا المستعمر العجوز لليهود من مقدرات فلسطين وهى مشكلة الشاب العربى «عبد الله الفياض» الذى يتدله فى حب اليهودية (راشيل) التى يسقط فى شركها والتى تخطط عن طريق (شيلوك) مدير النشاط الصهيونى فى فلسطين لسلبه الأرض، وإن كان عبد الله سيعود ويتوب بعد أن يفيق ويفطن إلى حجم الكارثة وقدر الخطر الذى يتهدده حسب الخط الدرامى فى المسرحية وتمضى المسرحية معبرة عن خطها المرسوم معبرة عن الاستلاب الثقافى والمادى للعرب وينبه (ميخائيل جاد) عبد الله لحقيقة القضية قائلاً:

(المسألة يا بنى ليست مسألة شخصية ولكنها قضية وطنية. وبهذا الاعتبار يجب أن تنظر إلى تصرفاتك... إن هذه الأراضى التى نملكها فى هذا البلد المنكوب ليست ملكًا لنا وإنما هى وديعة فى أيدينا)[1].

---

(١) ص ٢٩ : ٣٠، مسرحية «شيلوك الجديد»، «بتصرف».

ويبدو أن اقتباس مسرحية «تاجر البندقية» لشكسبير باعتبارها صورة أخرى من مشكلة فلسطين قد وجدت لها العديد من الأدباء بعد تناول «باكثير» لها فهناك مسرحية «رطل لحم» للكاتب الراحل «إبراهيم حمادة» متناولاً فى الفصل الأول بعضاً من أجزاء مسرحية «شكسبير» «تاجر البندقية» والمعروف أن البطل هو المرابى اليهودى «شيلوك» ليربط بينه وبين ممارسات إسرائيل الدموية فى أرض فلسطين، فتلك الممارسات اليوم هى امتداد لما قام به بطل البندقية فى الأمس ويتضمن الفصل الأول لقطات سينمائية لبداية مشكلة فلسطين ثم الفصل الثانى تتحول المشاهد السينمائية إلى الفترة المعاصرة من ممارسات أحفاد شيلوك على الأرض الفلسطينية تاركًا الفصل الثالث لتكملة الأجيال الجديدة[1] فالستار لم يسدل بعد، وتلك المسرحية عرضها مؤخرًا مسرح الشباب.

ولكن يظل «باكثير» هو الرائد الأول فى هذا التضمين بالاستعانة بمسرحية «شكسبير» مع إحساس شديد الرهافة بالكارثة يقول ميخائيل لابن صديقه كاظم «إن الجهاد الذى نحن فيه لأعظم وأعنف من الجهاد الذى تشير إليه، نحن فى جهاد لا يقوم به الرجال المقاتلون فحسب، بل يشترك فيه جميع الأمة كبيرها وصغيرها وذكرها وأنثاها. نحن نجاهد اليوم يابنى لنمنع ما بقى لنا من أرض الوطن أن يتسرب إلى أيدى اليهود. إننا نقف اليوم فى وجه الذهب اليهودى الذى يتدفق على بلادنا من كل الجمعيات

(١) مقال: «شاهدت لك رطل لحم» بدون كاتب، أهرام ٢٠٠١/٢/٢م، «بتصرف».

الصهيونية فى العالم، ويغزو مكامن الضعف فينا بأسلحته الفتاكة ووسائل إغرائه الجهنمية»[1].

وإذا كان هناك تنبؤ بالكارثة فهناك أيضًا اقتراح للحلول يقول «باكثير»: (كما تنبأت بأن الحل الوحيد أمام العرب هو فرض الحصار الاقتصادى على هذه الدولة الدخيلة حتى تموت وتختنق، وقد قررت لذلك سبع سنوات من تاريخ قيامها، وإذا لم يتحقق حتى الآن هذا الجزء من النبوءة فلأن الحصار الذى فرضه العرب لم يكن محكمًا كما ينبغى)[2].

(١) ص ٣٢، مسرحية «شيلوك الجديد».

(٢) ص ٤٤، «فن المسرحية».

٤ - إله إسرائيل فى فكر «باكثير»:

كيف عبر (باكثير) فى صياغته الأدبية عن إله إسرائيل فى مسرحيته إله إسرائيل؟

وللإجابة على هذا السؤال يجب فهم أن «باكثير» لدى كتابته يعتمد على ذخيرة هائلة من المطالعة والقراءات مع قدرة على الصياغة الأدبية المسرحية، ومسرحيته «إله إسرائيل» اختمرت فى ذهن أديبنا أكثر من (١٥) سنة بما يعطى دلالة واضحة على انشغاله واهتمامه البالغ بالقضية، ولاشك أن الفكرة الأدبية التى يطول اختمارها فى ذهن منشؤها تخرج بشكل أروع من الكتابة المتعجلة، وقد استعان «باكثير» فيها بثقافته الموسوعية المتعمقة فقد ذكر على باب هذه المسرحية: «استقيت (أى المسرحية) من الكتب المقدسة الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن ومن التلمود ومن كتب أخرى كثيرة كتبها اليهود، أو كتبت عنهم فى مختلف العصور..»[1] ويتضح هنا مدى إلمام الكاتب بعناصر القضية ولاشك أنه ألم بالتصور القرآنى الكريم لإله إسرائيل ووفق «باكثير» فى صياغة مسرحيته المكونة من ثلاثة فصول أو مسرحياته الثلاث فى

(١) ص ٦، مسرحية «إله إسرائيل».

مسرحية واحدة على حد قوله إذ عمل على دمج هذه العناصر (الشيطان، الأحبار، الذهب) لتعبر عن هذه الرؤية الواعية عبر مراحل التاريخ ويرى «باكثير» أن الصهاينة يعبدون «إبليس» أصلاً وهذا سر تأصل خصال الشر والخيانة فى نفسيتهم، وكان باكثير يتنبأ فى مسرحيته تلك بما تم استحداثه من العبادة الإبليسية ففى المشهد الأول من مسرحية الخروج يظهر إبليس لأحبار اليهود قائلاً لهم:

(إبليس: لا تخافوا.. أنا إلهكم إله إسرائيل قد تجليت عليكم واصطفيتكم.

الكاهن: سبوح قدوس. المجد لك يا إله إسرائيل والعظمة لك)[1].

ويظل هذا الظهور مستمراً طوال المسرحية وكأن «باكثير» يرى فى ذلك ما ذكره القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2].

---

(١) ص ١٢، مرجع سابق.

(٢) من الآية (١٤) والآية (١٥) من سورة البقرة.

٥ - مسرح الإسقاط السياسى ومسرحية «مأساة أوديب»:

كما كتب الأديب الراحل «باكثير» العديد من المسرحيات والتمثيليات التى تناولت قضية فلسطين وخصال اليهود ومكرهم، تناول أيضًا القضية فى مسرحيته «مأساة أوديب» مستخدمًا الرمز هربًا من الرقابة ومعبرًا فى ذات الوقت عن حزنه الدفين ويأسه المرير بعد الهزيمة عام ١٩٤٨م.

فقد صاغ «باكثير» هذه المسرحية عقب انتصار اليهود على الجيوش العربية مجتمعة فكانت تنفيسًا عن أحزانه وتأثره البالغ بتلك الكارثة الرهيبة.

أما عن سر اختياره لمأساة أوديب قالبًا يعبر عن مأساة ١٩٤٨م فيقول «ولعلكم تعجبون من هذا كما عجبت أنا نفسى فى أول الأمر إذ أية صلة بين نكبة العرب فى فلسطين، وبين هذه الأسطورة اليونانية؟ غير أنى أدركت بعد ذلك سر هذا الاختيار. ذلك أنى كنت أحس فى أعماق نفسى كأن الذنب الذى ارتكبه العرب فى فلسطين والخزى الذى لحقهم من جرائه لا يوازيه فى البشاعة غير ذلك الذنب الذى ارتكبه

أوديب فى حق أبيه وأمه والخزى الذى لحقه من ذلك»[1] ثم يبدأ بعد ذلك فى تفسير المسرحية بناء على هذا التصور فنقل الأسطورة من مضمون إلى مضمون، ومن فلسفة إلى فلسفة[2] على حد قوله، كما ضمنها الرمز الكلى العام الشائع فى المسرحية (بحيث تكون المسرحية واقعية نابضة بالحياة فى حوادثها وشخوصها كأية مسرحية جيدة. ولكن يكون لها فوق هذه الدلالة الطبيعية دلالة ثانية أدق وأعمق وتقع من الدلالة الأولى موقع الصدى من الصوت)[3] فمن خلال الأسطورة صاغ «باكثير» الدلالة الثانية المطابقة للواقع العربى يقول باكثير:

«لقد خضنا حرب فلسطين بجيوشنا الستة أو السبعة فماذا كانت النتيجة؟ خسرنا الحرب من حيث كسبتها إسرائيل فأضيفت إلى رقعتها أراض واسعة. فهل كان ذلك طبيعيًا اقتضاه ضعف العرب وقوة إسرائيل؟ أم كانت المسألة كلها مدبرة من قبل، تواطأ عليها الاستعمار والصهيونية وفى خدمتهما بعض ملوك العرب وزعمائهم لجر الأقطار العربية إلى تلك الحرب حتى تسفر عن هذه النتيجة المقصودة؟ ومتى بدأ هذا التدبير؟ ألم يبدأ منذ أعلن «بلفور» وعده المشئوم بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين؟

فانظروا الآن إلى قصة المسرحية ألا ترون فيها مشابهة من هذا الذى حدث؟ لقد أعلن «لوكسياس» نبوءته الكاذبة قبل مولد «أوديب» ثم وجه الأحداث نحو تحقيق هذه النبوءة حتى تحققت، وكان أوديب هو

(١) ص ٥٨، فن المسرحية، «على أحمد باكثير».
(٢) ص ٦٢، مرجع سابق.
(٣) ص ٨٩، مرجع سابق.

الذى سعى بنفسه إلى خوض غمار التجربة، متحديًا تلك النبوءة حتى وقع فى صميم المأساة طبقًا لخطة مرسومة لا يدرى هو عنها شيئًا، تمامًا كما سعى العرب إلى خوض غمار الحرب ضد إسرائيل، متحدين بزعمهم كل القوى التى تناصر إسرائيل حتى وقعوا فى صميم المأساة طبقًا لخطة مرسومة لا يدرون عنها شيئًا، وفى حرب فلسطين هدنتان الأولى والثانية أفلا تجدون فى قصة المسرحية مشابهًا لهما فى ذهاب أوديب إلى طيبة مرتين: الأولى ليقتل أباه والثانية ليتزوج أمه؟ والإقطاع الذى كان متحكمًا فى مصر وغيرها من البلاد العربية ألم يكن مسئولاً عن نصيبه فى هذه المأساة، ومآسى غيرها كثيرة حتى بلغت قمتها فى حريق القاهرة؟ أفلا تذكركم قصة المسرحية بشىء من هذا الطاعون الذى انتشر فى طيبة، والذى كان سببه احتجاز المعبد للأرض الزراعية حتى لم يبق للشعب منها إلا القليل...»[1] وهكذا يتابع أديبنا (باكثير) المطابقة بين أحداث ورموز الأسطورة كما صاغها فى مسرحيته وبين الواقع العربى وما آل إليه من وجوه المأساة[2].

والحق أنه يصعب (إن لم يكن مستحيلاً) أن يفطن قارئ المسرحية إلى هذا الرمز وتلك المقابلة دون أن يكون لديه معرفة مسبقة بها.. فهو رمز صعب لم يكن من الوضوح بمكان على حد تعبير د. «محمد رجب بيومى»:

---

(١) ص ٩١، مرجع سابق.

(٢) يذكر د. على الراعى فى مؤلفه عن المسرح فى الوطن العربى الصادر ضمن سلسلة عالم المعرفة الكويتية ص ١٤١: «أما الاستخدام السياسى لأسطورة أوديب كإسقاط على أحداث مصر والعالم العربى فى منتصف الستينيات فهو أوضح من أن يحتاج إلى شرح».

«أما الرواية التالية التى تحدث عنها «باكثير» عن فلسطين فهى مسرحية «أوديب ملكًا» ولا أكتم القارئ أنى قرأت هذه المسرحية ولم أدرك أنها تتحدث عن مأساة فلسطين حتى قرأت ما كتبه باكثير عنها بعد سنوات حين ذكر تحليلاً للوقائع والأشخاص ينطق بمأساة العرب، وقد قرأت التحليل مندهشًا، لأنه لم يكن من الوضوح بحيث ارتاح إليه، ولكن الكاتب قد صمم مسرحيته ووفق الرمز المختار من الأدب اليونانى، وقد لاقاها القارئ فلم يدرك مرماه حتى أفصح عنه، والرمز الذى يحوج إلى إفصاح من المؤلف نفسه، لابد أن يكون موضع نظر»[1] فالأدب نفسه يشرح نفسه وليس فى حاجة إلى أن يشرحه منشئ هذا الأدب وإلا اكتنفه الغموض... وتعد مسرحية «مأساة أوديب» من مسرح «الإسقاط السياسى» (والذى يعمد إلى الإبعاد سواء أكان إبعادًا مكانيًا أو إبعادًا زمانيًا فى التاريخ أو اللجوء إلى قالب الفانتازيا والأسطورة حتى ينجو كاتب مسرح الإسقاط من عوائق الرقابة. ويعد هذا النوع (مسرح الإسقاط السياسى) من أرقى أنواع المسارح السياسية حيث يطرح كثيرًا من الفن وقليلاً من السياسة وقليلاً من المباشرة)[2] ولكن الأمر يحتاج الحيطة فى تناول الرمز حتى لا يغرق فى الغموض فيؤدى إلى عكس مقصود الكاتب.

---

(١) ص ٩٩، مجلة «منبر الإسلام» السنة (٦٠) العدد (٢)، صفر ١٤٢٢هـ مايو ٢٠٠١م مقال «على أحمد باكثير ـ أديب متعدد المواهب».

(٢) ص ٦، المسرحية السياسية فى الوطن العربى، د. أحمد العشرى.

المبحث الخامس
سمات موضوعية
فى تناول الصهيونية
بأدب «على أحمد باكثير»

١. كيدالصهاينة للمسجد الأقصى فى أدب «باكثير».

٢ - عنصرية الصهاينة فى أدب «باكثير».

٣ - العنف عند الصهاينة فى أدب «باكثير».

٤ - الأطماع التوسعية للصهاينة فى أدب «باكثير».

٥ - «باكثير» وعناصر الأزمة الصهيونية.

(الصراع بين الإشكناز والسفارديم/ المشكلة الديموجرافية، أزمة الهوية)

٦ - الاستعمار والصهيونية فى أدب «باكثير».

٧ - نهاية الصهيونية فى فكر «باكثير».

١ ـ كيد الصّهاينة للمسجد الأقصى فى أدب باكثير:

إذا كان «باكثير» (رحمه اللّه) قد تنبأ بحلول كارثة فلسطين خصوصًا فى مسرحيته «شيلوك الجديد» فإنه قد تنبأ أيضًا (وندعو اللّه العلى القدير ألا تتحقق هذه النبوءة أبدًا) فى ذات المسرحية بهدم المسجد الأقصى، و «باكثير» فى ذلك على وعى تام وبصيرة بنوايا ومكائد الصهاينة تجاه المسجد الأقصى الشريف.

فمن تصريحات الصهاينة فى الكيد للمسجدالأقصى الشريف ثالث الحرمين وأولى القبلتين ومسرى الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) والتى استمع إليها «باكثير».

ويقول «الفرندموند» الزعيم اليهودى الإنجليزى:

«إن اليوم الذى سيعاد فيه بناء الهيكل أضحى قريبًا جدًا وسأكرس بقية حياتى لبناء هيكل عظيم مكان المسجد الأقصى»[١].

أما الدكتور «ايدوا» رئيس اللجنة الصهيونية فيقول:

---

(١) ص ٨٠، تفسير سورة الإسراء، د. «عبد اللّه محمود شحاتة».

أهداف الصهيونية هى إبادة العرب جميعًا وإقامة «هيكل سليمان» محل المسجد الأقصى»[1]. وقد عاصر وشاهد «باكثير» الكثير من هذه الاعتداءات على المقدسات. فكيف سجل «باكثير» رؤيته حول هذه القضية المصيرية؟

الحق أن رؤية باكثير كانت قاسية للغاية فى مسرحيته المبكرة «شيلوك الجديد» ففى الحوار الذى دار بين رئيس الوفد العربى، والوفد الصهيونى من أجل تصفية الوجود الصهيونى:

(ميخائيل: بقى لنا مطلب آخر أيها السادة.

الرئيس: ما هو؟

ميخائيل: تعويض آخر لإعادة بناء المسجد الأقصى الذى هدمه اليهود ليقيموا هيكل سليمان على أنقاضه، وهذا مطلب لا يطالب به العرب وحدهم بل يشاركهم فيه المسلمون كافة، مع مراعاة أن هذا التعويض مهما عظم لا يكافئ الإهانة التى مست شعور العرب والمسلمين من جراء الاعتداء على هذا الأثر المقدس الذى يعتبره المسلمون أولى القبلتين وثالث المسجدين)[2].

وفى مسرحية «راشيل والثلاثة الكبار» نجد هذا الحوار الذى يعلن فيه الصهاينة نيتهم لهدم المسجد الأقصى:

(المندوب : أليس فى نيتها أن تبنى هيكل سليمان؟

جونبول: بلى ولكن على أنقاض المسجد الأقصى)[3].

---

(١) ص ٨١.، مرجع سابق.

(٢) ص ٢٦٥ : ٢٦٦، مسرحية «شيلوك الجديد».

(٣) ص ٩٤، مسرحية «مسرح السياسة».

٢ـ عنصرية الصهاينة فى أدب «باكثير»:

رصد الأديب الراحل «باكثير» مظاهر التفرقة العنصرية عند الصّهاينة وركز عليها فى العديد من أعماله خاصة مسرحياته السياسية، والتى تناولت مشكلة فلسطين، بل ولقد أسمى إحدى هذه المسرحيات «شعب اللّه المختار» لتجسد هذه العقيدة المنحرفة عند الصهاينة وكيف قادت هذه العقيدة. للعدوان والاستعلاء على الشعوب والتى أسموها «الجوييم» فى كتبهم. كما دون «باكثير» فى نصوصه المسرحية.

وقد صور «باكثير» مظاهر التفرقة العنصرية عند الصهاينة فى مسرحيته الجديدة «إله إسرائيل» والحق أن «باكثير» موفق غايةً التوفيق فى فكرته تلك على ما نتناوله بالتفصيل عند الحديث عن مسرحيتة «إله إسرائيل» وكذلك فى مسرحيته «شعب اللّه المختار».

يلتقط باكثير تلك الرؤية ويصوغها فى أدبه ويصف ازدواج الولاء لدى اليهود وكيف أنهم تعلموا من «هتلر» أكثر مما تعلموا من سيدنا موسى (عليه السلام) وفى حوار بين الكواهين والأمريكى «أندرسون» فى مسرحيته «شعب اللّه المختار»:

(كوهينسون : وأنا أمريكى مثلك.

أندرســـــون: (فى سخرية خفية) أقصد أننى أمريكى فقط أما أنت فأمريكي وإسرائيلى فى وقت واحد.

كوهـــــــان : وأى عيب فى ذلك؟ أنا أيضًا إسرائيلى وفرنسى.

كوهـــــــين : وأنا إسرائيلى وإنجليزى.

كوهينـــوف : وأنا إسرائيلى وروسى.

كوهينسون : هل ترى فى ذلك عيبًا يا مستر أندرسون؟

أندرسـون : أنا لا أعيب ولا أمدح ولكن هذا وضع شاذ لا مثيل له فى شعوب العالم.

كوهـــان : وهل لنا نحن مثيل فى شعوب العالم؟ نحن شعب اللّٰه المختار.

أندرسون : هذه نفس نظرية التفوق العنصرى التى من أجلها حاربنا «هتلر».

كوهـــان : نحن إلبنا الدنيا على هتلر لأنه حاول أن يسرق هذه الميزة من بنى إسرائيل وينسبها إلى قومه الألمان.

أندرسون : إذا كنتم أنتم تدينون بها فما الفرق بينكم وبين النازيين؟

كوهـــــان : الفرق أننا شعب اللّٰه المختار حقًا أما هم فأدعياء.

أندرسـون : نحن اليوم فى القرن العشرين، ولا مكان فيه لمثل هذه الخرافة.

كوهـــــان : خرافة؟

أندرسون : خرافة سخيفة.

كوهـــان : (غاضبًا) اسحب هذه الكلمة.. اسحبها فى الحال.

أندرسون : كلا لن أسحبها.

كوهـان : مـا كنت لتقـولهـا لـو كان لك شـرف الانـتمـاء إلى هـذا الشعب.

أندرسون : أنا فى غنى عن هذا الشرف.

كوهـــان : بل تجسدوننا أنتم الجوييم)[1].

وتلك هى ذات الصفات التى ذكرها القرآن الكريم قائلا:

«نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّه وَأَحِبَّاؤُه»[2].

«عَلَيْنَا فِى الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ»[3].

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّى مَنْ يَشَاءُ»[4].

بما يؤكد التنـاص الملازم لرؤيـة «باكثير» لعناصـر القضيـة ومدى تشربه بثقافته القرآنية والتى شكلت مواقفه الفكرية.

---

(١) ص ٦٢: ٦٣، مسرحية «شعب الله المختار».

(٢) الآية (١٨) المائدة.

(٣) الآية (٧٥)، آل عمران.

(٤) الآية (٤٩) النساء.

٣ ـ العنف عند الصّهاينة فى أدب «باكثير»:

كيف سجل أديبنا الكبير العنف عند الصهاينة وتلك القساوة البالغة فى صوره الأدبية؟ وللإجابة على هذا السؤال يجب استعراض ما دَوَّنَه «باكثير» من نماذج لمذابح الصَّهاينة فى القديم والحديث كجزء من تاريخهم الأسود الدموى:

■ مذبحة أريحا: سجل «باكثير» وقائع تلك المذبحة فى مسرحيته «إله إسرائيل» أنه لما أرسل سيدنا موسى (عليه السلام) قومه لفتح «أريحا» وأمرهم بأخلاق الإسلام فى الحرب كما فى هذا الحوار من المسرحية[1]:

إبليس : أنت أمرتهم بقتال المقاتلين من الرجال، ونهيتهم عن التعرض للنساء والشيوخ والأطفال، زاعمًا لهم أن ذلك أمرُ اللَّه؟

موسى : ذلك أمرُ اللَّه حقًا!

(١) ص ٤٧، مسرحية «إله إسرائيل».

إبليس : فاعلم إذًا أنهم لم يتعرضوا للرجال، وإنما انقضوا على الشيوخ والنساء والأطفال، فاعملوا فيهم التذبيح والتقتيل ومثلوا بهم أفظع تمثيل.

ويبدو أن (باكثير) طالع نص سفر (يشوع) الذى يصف مذبحة أريحا:

«اهلكوا جميع ما فى المدينة من رجل وامرأة وطفلٍ وشيخَ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف وأحرقوا المدينة وجميع ما فيها بالنار»[1].

كما تحدث عن مذبحة الأخدود (أكتوبر عام ٥٢٣م).

التلذذ بالدماء:

يتلذذ الصَّهاينة بسفك الدماء ويستمتعون بمشاهد العنف تلذذًا واستمتاعًا يفوق الوصف ولم يكن ذلك مجرد وصف أدبى ساخر دَوَّنه أديبنا الكبير (باكثير) بل حقيقة يشهدها القاصى والدانى فقتلة محمد الدرة ألم يكونوا نفس صورة كوهين فى مسرحية «التوراة الضائعة»؟ فكوهين مليونير يهودى أمريكى من أصل ألمانى يتبرع بمبلغ مليون دولار لإسرائيل ويشرح سبب هذا التبرع قائلاً[2]:

كوهين: إننى يهودى. أتدرى ما غرضى الأول من التبرع بهذا المبلغ البالغ الضخامة؟

المدير : مساعدة إسرائيل فى مجهودها الحربى.

كوهين : هذا من جملة الأغراض ولكنه ليس الغرض الأول.

---

(١) ص ٢٠، الصهيونية والعنف، رائد حسين طنطاوى. دار الشعب.

(٢) ص ٢٠، مسرحية «التوراة الضائعة».

المــدير : فما الغرض الأول؟

كوهين : (يتلمظ وتلتمع عيناه بالحقد والشماتة) أن أمتع عينى برؤية أعدائنا وهم مهزومون مسحوقون وعلى رءوسهم أحذية جنودنا البواسل، أن أشفى غليلى بالانتقام لكل ما أصاب شعبنا المختار فى تاريخه الطويل من إهانات واضطهادات.

المــدير : هذا غرض نبيل حقًا.

كوهين : هذا يساوى عندى مئات الملايين من الدولارات، ولو كنت أنا من بيت «روتشيلد»، أو بيت شيف أو بيت «واربورج» لتبرعت بألف مليون دولار.

المــدير : لعلك رأيت اليوم بعض ما يشفى غليلك ويقر عينيك.

كوهين : نعم تفرجت على الوجوه المشوية بقنابل النابالم ورأيتُ بعض الأحياء العربية التى دمرت وأزيلت أنقاضها من وجه الأرض فكأنها لم تكن! شىء مدهش! رائع.

المدير : ألم تر جموع النازحين الذين يعبرون النهر إلى الضفة الشرقية بالألاف!

كوهين: بلى. وقفت طويلاً أتفرج عليهم وهم يهرعون إلى النهر. يدفع بعضهم بعضًا من الرعب والجنود البواسل من بنى إسرائيل ينخسون جنوبهم بالسونكى. منظر متعدد الأشكال متنوع الألوان غنى بمختلف الصور كأنك تشاهد رواية هزلية مسلية تهيج النفس وتريح الأعصاب.

المــدير : فى استطاعتك أن تراهم من هنا إن شئت.

كوهين : أحقًا؟ (ينطلق داخل حجرته ثم يعود حاملاً منظارًا) ها هو ذا المنظار.

وهكذا تتابع المشاهد وكوهين يشاهد بالمنظار أفواج الفارين ويصف مشاهد العنف والدمار بأنه شيء جميل، وأنه سوف يتفرج كل ساعة ثم يدخل ابنه جيم فيناوله المنظار لينظر مثله:

جيم : أنظر ماذا؟

كوهين : تعال متع عينيك (يعطيه المنظار).

جيم : (ينظر قليلاً ثم يرتد) أية متعة فى هذا؟

كوهين : كنت فى السينما؟

جيم : نعم.

كوهين : أليس هذا أمتع من الأفلام الخيالية؟ هذه وقائع الحياة تتحرك أمامك كل واقعة منها تسجل انتصارنا العظيم)[1].

وقبل أن نتابع الصورة الساخرة التى رسمها (باكثير) لذاك النموذج اليهودى (كوهين) المولع فى الدناءة وحب القسوة والعنف نستعرض وقائع تاريخية لنموذج من مذابح الصهاينة والتى أشار إليها (باكثير) فى ثنايا تعرضه لذاك النموذج وهى أشهرها مذبحة «دير ياسين» فى ١٩٤٨/٤/٩م، والتى تمت قبل شهر من إلغاء بريطانيا لانتدابها على فلسطين (حيث ولد المسخ الصهيونى) حيث اقتحمت العصابات

---

(١) ص ٢٢، مسرحية «التوراة الضائعة»

الصهيونية قرية «دير ياسين» وقتلت (٣٠٠) من بينهم (٥٢) طفلاً بعد تقطيع أوصالهم وإلقاء جثثهم فى بئر القرية[١].

أما باكثير فيعرض لذلك فى مسرحيته «التوراة الضائعة»:

(كوهين : سيان عندنا هنا أو فى المطعم. ولكن لا تنس أن تحضر لنا أحد ضحايا النابالم من العرب لنراه ونحن نأكل.

المــدير : لكن منظره كريه يا سيدى يورث الاشمئزاز.

كوهين : لا شأن لك. أريد أن أجمع بين اللذتين. لذة الطعام ولذة الانتقام غذاء الجسد وغذاء الروح)[٢].

ويصف أيضًا مشاهد النازحين بأنها مشاهد بريئة ويمرض ابنه وتذكره زوجته برباره فى صورة غاية من السخرية.

(أنت الذى روعته. ألم تقل له يومذاك ما أجمل هذا الزيتون الأسود وكأنما تناثر من وجه هذا العربى المحروق)؟[٣].

---

(١) مجموعة مقالات بالإضافة إلى كتاب الصهيونية والعنف، حسين طنطاوى «بتصرف كبير».

(٢) ٢٣، مسرحية «التوراة الضائعة».

(٣) ص ٢٤، مسرحية «التوراة الضائعة».

٤ ـ الأطماع التوسعية للصهاينة فى أدب «باكثير»:

للصهاينة أطماع توسعية لا تقف عند حد معين، وقد عاصر «باكثير» ذلك ورأى هذا التهديد على حد قول د. «جمال حمدان»: «التهديد إذًا لا يقتصر على العالم العربى وحده، وإنما يمتد إلى العالم الإسلامى أيضًا وضمنًا وليس المسجد الأقصى وحرقه إلا رمزًا ومؤشرًا لما ينتظر العالم الإسلامى جميعًا، ومن هذه الزاوية، فإن الصهيونيات اليوم هى بلا مبالغة أو مزايدة أكبر خطر وتحد يواجه العالم الإسلامى المعاصر»[1].

فكيف رأى «باكثير» هذا الخطر؟ هناك تضمينات كثيرة ذكرها الأديب الكبير فى مسرحياته منها ذاك الحوار بين الكواهين الأربعة فى مسرحية «شعب الله المختار» حيث يتناقشوا مع «ليفى» المستثمر الأمريكى والذى جاء ليضخ أمواله فى الكيان الصهيونى، حيث يتحدث كوهين عن وجوب الحد من الصناعة المصرية وحصرها فى نطاق ضيق فيرد عليه كوهان قائلاً:

---

(١) ص ٢١٢، ٢١٥، العالم الإسلامى المعاصر، د. جمال حمدان.

(أجل هذا شرط أساسى إن إسرائيل لن تقف عند حدودها الحالية ولن تهدأ عند حدودها الحالية، ولن تهدأ حتى تهيمن على سائر أرض الميعاد من النيل إلى الفرات)[1].

وفى ذلك إلماح إلى سياسة الاستيطان الصهيونية التوسعية حيث تقوم سياسة الاستيطان الصهيونية على تفريغ الأرض من سكانها وإحلال اليهود محلهم، وقد عاصر أديبنا الراحل (باكثير) المراحل المبكرة من الهجرات اليهودية وبعد ذلك طرد السكان العرب وتشتيتهم فى البلاد العربية منذ عام ١٩٤٨م إلى ما بعد عام ١٩٦٧م[2].

ويرى «باكثير» تلك الإمبراطورية أو على حد قول الدكتور (جمال حمدان): الرايخ الصهيونى الثالث ويدرك إدراكًا غاية فى الوضوح لحقيقة الأزمة وحجم الكارثة وفى مسرحيته «شعب اللَّه المختار» يشير إلى ذلك أكثر من مرة ففى الحوار بين كوهان (عضو الكنيست) وصاحب الفندق (حائم) الذى يقيم فيه:

(كوهان : انظرى إلى زوجك هذا كيف يجهل تاريخنا المجيد؟

حائم : ماذا تعنى؟

كوهان : انسيت يا حائم وعد «بلفور»؟

حائم : (فى شىء من السخرية أيضًا) صحيح. قامت على أساسه دولة !

كوهان : دولة فقط؟ إمبراطورية من النيل إلى الفرات)[3].

---

(١) ص ١٦، ١٧، مسرحية «شعب اللَّه المختار».

(٢) ص ١٩٦، الصراع العربى الإسرائيلى فى خرائط، إعداد وإشراف: د. خيرته قاسمية، ١٩٧٩. معهد البحوث والدراسات العربية.

(٣) ص ٤٥، مسرحية «شعب اللَّه المختار».

٥ـ «باكثير» وعناصر الأزمة الصهيونية

١ـ الصراع بين الإشكناز والسفارديم.

٢ – المشكلة الديموجرافية.

٣ – أزمة الهوية.

يكشف «باكثير» فى ثنايا مسرحياته عن العديد من عناصر الأزمة الصهيونية والمتفجرة داخل هذا المجتمع ولاشك أن الكشف عن هذه العناصر يثبت أن الصهاينة ليسوا أقوياء بلا حدود بل هم صنيعة الغرب والاستعمار قاموا على أكتافه، وتمتد خيوط الحياة متدفقة والوجود إليهم عبر تلك الأصرة التى تربطهم بالاستعمار:

١ – النزاع القائم بين الإشكناز والسفارديم:

ينقسم المجتمع الصهيونى على نفسه، ويمتد الصراع والتمييز العنصرى بين يهود الغرب (الإشكناز) ويهود الشرق (السفارديم) فمثلاً بذل (آرثر روبين) واحد من أهم علماء علم الاجتماع الصهاينة والمسئول عن الاستيطان فى فلسطين لفترة طويلة قبل إنشاء الدولة، بذل جهداً «علميًا» فائقًا لإثبات مقولة أن اليهودى هو «الإشكنازى» وحده، وأن الشرقيين ليسوا يهوداً)[1].

وفى مسرحية «شعب الله المختار» يحتدم الخلاف بين الكواهين الأربعة والذين يمثلون «الإشكناز» و «عزرا اليهودى» القادم من اليمن والممثل للسفارد.

ونلتقط هذا الحوار[2]:

(١) ص ٢٤، الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية، د. عبد الوهاب المسيرى «بتصرف».

(٢) ص ١٧ : ١٨، شعب الله المختار.

كوهينسون : لا تنس يا مسيو كوهينوف أننا (دولة).

كوهينوف : رجعية سخيفة لا تليق (بدولتنا) المتحضرة.

كوهينسون : هذا لو كان يهود إسرائيل كلهم ملحدين مثلك، ولكن فيهم المؤمنين المحافظين.

كوهينوف : تعنى أولئك الرجعيين المنحطين من يهود العراق ويهود المغرب ويهود اليمن - هؤلاء يجب أن يكونوا تبعًا لنا لا أن نكون تبعًا لهم.

٢ - المشكلة الديموجرافية:

ورصد «باكثير» أيضًا خصوصًا فى مسرحية «شيلوك الجديد» ظاهرة أخرى من ظواهر الأزمة الصهيونية والتى تمثل خطرًا على الصهاينة وهى المشكلة الديموجرافية.

وتلخيص هذه المشكلة قلة الإنجاب لدى العائلات اليهودية إذ تبلغ نسبة الولادة بين النساء اليهوديات «٦ , ١» فقط فى الألف[١]، وفى مقابل هذا الانكماش اليهودى نجد أن المرأة الفلسطينية «امرأة نفوض» تلد الجند والشهداء والأغانى، ولذلك تصل معدلات الإنجاب إلى أعلى معدلات فى العالم فى الشعب الفلسطينى[٢].

ومعركة الإنجاب والاستمرار والبقاء مستمرة بين الصهاينة والفلسطينين.

فكيف رصد أديبنا هذه الظواهر المهمة وصاغها فى أدبه:

---

(١) ص ٦٢ الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية.

(٢) ص ٦٢، مرجع سابق «بتصرف».

– فى مسرحية «شيلوك الجديد» عندما علم «شيلوك» بأن راشيل حامل من عبد الله الفياض وناقشته حول أنها تريد التخلص من الطفل كما يلى[1]:

شيلوك: ستستريحين فى ذلك المستشفى حتى تضعى طفلك، ثم نتولى نحن تربيته عنك.

راشيل : كلا يا عم شيلوك، لا أستطيع.

شيلوك : أما تحبين يا راشيل أن تسهمى فى حركة النسل اليهودية؟ إن العرب يتناسلون بكثرة مزعجة، فلابد لنا أن نباريهم إن شئنا أن تكون لنا الأكثرية.

راشيل : كلا لا أريد.

شيلوك : لابد من التضحية يا جميلتى راشيل. إن الدولة اليهودية تقوم على سواعد أمثالك من المضحيات المخلصات. وإن إعادة هيكل سليمان ليست بالمطلب الهين. ...

وذاك وعى عال من باكثير فى إدراك أهداف الصهيونية ومراميها البعيدة ولعله طالع مطالبة «بن جوريون» اليهود عام ١٩٤٣م أن يؤدوا واجبهم السكانى مؤكدًا أن ٢,٢ طفلاً لكل أسرة ليس كافيًا[2].

٣ – أزمة الهوية:

وتتصاعد أيضًا أزمة الهوية الصهيونية وانقسام الذات من خلال انقسام الولاء، وتمزق نفسية كثير من المهاجرين (خصوصًا يهود

(١) ص ٥١، مسرحية «شيلوك الجديد».

(٢) ص ٦٠، الانتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية، مرجع سابق.

الشرق) الذين ظنوا أنهم يهاجرون إلى أرض العسل وإلى المدينة الفاضلة فلم يجدوا من ذلك شيئًا، ولقد عبر (باكثير) على لسان راشيل فى مسرحية «شعب الله المختار» عن تلك الأزمة الطاحنة فإسرائيل تأخذ ولا تعطى شيئًا:

راشيل : (تنهض من الأرض بقوة) وتصيح ثائرة: إسرائيل، إسرائيل. كل شىء فى سبيل إسرائيل. هذه الدولة الملعونة التى نعمل لها كل شىء ولا تعمل لنا شيئًا. تأخذ منا كل شىء ولا تعطينا أى شىء.

سارة : صه يا بنتى... هذا خطر عليك.

راشيل : أنا لا أبالى.. ملعونة إسرائيل! تسقط إسرائيل)[1].

وتبدو تلك الأزمة مع ليفى فى ذات المسرحية أيضًا موضحًا أثر الدعاية الصهيونية، وعندما يسأل ليفى «سيمون»:

ليفى : فما الذى جاء بك إلى إسرائيل؟

سيمون : الدعاية الصهيونية وأحلامها الكاذبة ـ مجد إسرائيل... شعب الله المختار... أرض الميعاد من الفرات إلى النيل...)[2].

وهناك قطاعات من اليهود متمردة على الصهيونية.

وتلك الرؤية أيضًا التى تمسك بها (باكثير) ودعمها وكررها أكثر من مرة فى مسرحياته فمثلاً الحوار بين «ليفى اليهودى» و «سيمون اليهودى» أيضًا فى مسرحية «شعب الله المختار» يكشف فيها عن أزمة

---

(١) ص ٦٨، مسرحية «شعب الله المختار».

(٢) ص ٧٢ ، مسرحية «شعب الله المختار».

اليهود النفسية النابعة من أزمة الهوية العميقة كما يشير فيها للجمعيات المناهضة للصهيونية:

(سيمون : كلا يا سيدى... المشكلة أعظم من دلك ـ إنها ليست مشكلتى بل مشكلة ألوف من اليهود من مختلف بلاد العالم يقاسون هذه المحنة النفسية القاسية ولا خلاص لهم منها إلا بزوال هذه الدولة المشئومة.

ليفى : صدقت يا بنى. والله ما أدركت أن «ألفريد ليلنتال» وجمعيته المناهضة للصهيونية على حق إلا بعد ما جئت إلى هذه البلاد. وإن هذه الدولة إن بقيت فستكون وبالاً على اليهود فى كل بلاد العالم)[1].

وهذا «كوهين» أيضًا يصف ألفريد ليلنتال باليهودى الخائن عندما نشر خطابًا فى الصحف مفتوحًا يطالب فيه الكونجرس الأمريكى بالتحقيق فيما تضمنه من سيطرة الصهيونية على الحكومة الأمريكية ويعلق زميله كوهين: تذكر أن له أنصارًا عديدين من يهود الولايات المتحدة[2].

ونجد أيضًا مثل شخصية «إبراهام» فى جميع مسرحيات باكثير التى تتناول الصهيونية وتلك الشخصية وردت فى مسرحية «شيلوك الجديد» لدرجة أن مثل هذه الشخصية قد تشترك فى الحركة الفدائية العربية لتطهير الأرض من أرجاس الصهيونية وهكذا يفرق «باكثير» بين اليهودية والصهيونية كحركة عنصرية آثمة.

---

(١) ص ٧٤: ٧٥، مسرحية «شعب الله المختار».

(٢) ص ٨٢، مرجع سابق ـ «بتصرف».

٦ - الاستعمار والصهيونية في أدب «باكثير»

رصد «باكثير» فى أعماله الأدبية علاقة الصهيونية بالاستعمار فالأولى هى قفاز ومعبر الثانية للهيمنة على مقدرات الشعوب العربية، فالصهيونية إمتداد العالم الغربى حتى فى الخطاب الإعلامى الصهيونى الغربى، والذى يتبنى وجهة نظر وجيدة هى وجهة نظر الصهاينة، فى هذا الخطاب يتم تصوير إسرائيل باعتبارها واحة الديمقراطية والحرية فى وسط محيط همجى متخلف وقد رصد أديبنا تلك العلاقة الحميمة الآثمة خصوصاً فى تمثيلياته السياسية وبلغ قيمة السخرية بتصوير تلك العلاقة بعلاقة طالب الشهوة النهم والبغى، والتى لا تمنع نفسها عن أحد فى سبيل تحقيق أطماعها وعدوانها، وقبل أن نتطرق لتفصيل تلك الصورة نرى كيف رأى باكثير دور الاستعمار فى التوطئة لقيام إسرائيل وتثبيت أركانها وتلك صورة نعرض لها ففى فقرات عديدة من تلك المسرحية نجد ما يلى:

(١) ص ٧٤، مسرح السياسة.

(جولدا : (تدنو من جونبول) أليس من الجفاء يا سيدى أن ترفض ما عرضه عليك بنجوريون؟ هى نفساء أما أنا فلا.

جونبول : أشكرك يا جولدا. إنما جئت فى مثل هذه الساعة من النهار لأمر مهم جداً)[1].

وبعدها بقليل:

(جونبول : ماذا يصنع فى هذه الساعة؟

راشيل : كالعادة!

جونبول : كالعادة!

راشيل : نعم.. إنه لا يميز...

جونبول : مخلوق قذر[1].

وهى فقرة توضح مدى غيظ الكاتب من العلاقة الآثمة بين الصهيونية وحلفائها.

ويشير «باكثير» إلى دعم الصهيونية المتمثل فى المساعدات المعلنة وغير المعلنة، والتبرعات والدعم السياسى اللامحدود.

وفى حديث بين كل من «ليفى وأندرسون»، والكواهين الأربعة فى مسرحية باكثير «شعب الله المختار»:

(ليفى : وأدهى من ذلك أن الحكومة قد أجبرتنا على الاكتتاب بجزء كبير من رأس مالنا فى القرض الجديد الذى أصدرته لصرف رواتب الموظفين..

---

(١) ص ٧٥، مرجع سابق.

كوهينسون : لا تخافا .. هذا قرض مضمون.

ليـــــفى : مضمون؟ هل يوجد شىء مضمون هنا فى إسرائيل؟

أندرسـون : شىء واحد مضمون هنا هو الإفلاس.

كوهـــان : إنى أحتج باسم إسرائيل على هذا الكلام.

كوهينـوف : وأنا أيضًا أحتج.

كوهـــين : أجل لا ينبغى أن تتشاءما إلى هذا الحد. سيعاد إليكما كل ما اكتتبتما به فى القرض.

ليـــــفى : من أين؟

كوهينسون : من الولايات المتحدة!

ليـــــفى : لقد منحتكم الولايات المتحدة حتى الآن ما يزيد على ألفى مليون دولار.

كوهينسون : هذا مبلغ تافه...)[1].

---

(٢) ص ٦٠ : ٦١، مسرحية «شعب الله المختار».

٧ - نهاية الصهيونية فى فكر «باكثير»

كيف يتصور (باكثير) نهاية دولة إسرائيل؟

«فباكثير» يرى أن إسرائيل دولة دخيلة تم زرعها عنوةً فى كبد الأمة العربية والإسلامية، ولابد لها أن تُلفظ يومًا ومهما طال الزمن، وإذا كان «باكثير» قد صاغ مسرحيته «شيلوك الجديد» على أساس أن اقتلاع فلسطين من جسد الأمة العربية سوف يترتب عليه دماء عظيمة مبذولة فإن نهاية دولة إسرائيل لن تكون إلا بالمقاطعة الاقتصادية المحكمة، وهذا يدل على فهم عميق حول وضعية إسرائيل فهذه الدولة لن تستمر فى الوجود إذا انقطعت عنها سبل الإمداد من الولايات المتحدة والعالم الغربى، وإذا لم تستطع التسلل إلى الدول العربية وترويج صادراتها بها، فالصهيونية كيانٌ دخيل لا يعتمد على نفسه ولكن يقوم على امتصاص خيرات الآخرين والهيمنة على مقدرات ما يحيط بها من دول عربية وإسلامية، لذلك يتصور (باكثير) نهاية إسرائيل (كخط فكرى ناضج) فىَ كتاباته على أساس أنه إذا انقطع حبل الناس عنها فسوف تنهار بلا شك... ولن يكون ذلك إلا بنقمة العالم عليهم وعلى رأس الناقمين من ساعدوا إسرائيل نفسها فيذكر فى الحوار

(١) ص ٩٠، ٩١ مسرح السياسة.

الدائر بين كوهين ومندوبوا جهات متعددة فى مسرحية «التوراة الضائعة»[1]:

كوهـــين : كلا أنا أقصد أنكم خدعتم العالم كله.

م. الدفاع : العالم كله؟

كوهين : أجل والخداع لا يمكن أن يدوم. سينكشف يومًا فينهار كل ما قام عليه وها قد بدأ خداعكم ينكشف ويراكم العالم على حقيقتكم.

م. الاقتصاد : هل فهمتم من كلامه شيئًا؟

الجميع : لا.

كوهين : سأورد لكم أمثلة لتفهموا وتموتوا غيظًا. هذا الجنرال «ديجول»، قد كشف القناع عن وجهكم القبيح، فأدانكم بالعدوان وتحدى تلك التهمة الفاجرة. تهمة معاداة السامية التى كنتم تقذفون بها فى وجه كل من ينطق فيكم كلمة الحق، كأن الله أبطل الشرائع كلها وما أبقى إلا شريعة واحدة هى شريعة عبادة اليهود والتزلف إليهم والتستر على ما يأتون من الفضائح والتغاضى عن كل ما يرتكبون من القبائح، والتباكى لما لهم من بأس وإن هان، والشماتة بما يصيب غيرهم من بنى الإنسان)[1].

من داخلها ـ أزمة هوية طاحنة وأزمات أخرى التقط بعض خيوطها «باكثير» وسجلها فى أعماله الأدبية (كما عرضنا) فالجسد العربى المريض بالصهيونية سوف يلفظها لا محالة.

---

(١) ص ٩، مسرحية «شيلوك الجديد».

وقد اكتشف «باكثير» الحل كما تنبأ بالمشكلة فى مسرحيته «شيلوك الجديد» ورأى أن اقتطاع رطل من اللحم من جسد الأمة العربية سوف يترتب عليه دماءً غزيرة.

المبحث السادس
شعر باكثير
والقضية الفلسطينية

١ - الشعر ورؤية «باكثير».

٢ - روح التحدى والأمل لا روح الانهزامية والاستسلام.

٣ - السخرية.

٤ - إسلامية «باكثير» فى شعره.

١ - الشعر ورؤية «باكثير»:

كما تناول الأديب الكبير قضية فلسطين فى كتاباته المسرحية فهو أيضًا قد تناولها فى العديد من قصائده دلالةً على أن القضية كانت تشغله تمامًا، وتملأ عليه أرجاء نفسه وقد اجتمع. فى شعر «باكثير» الذى تناول القضية ذات الخصائص الفنية والأفكار الإسلامية فى تناول موضوع الصهيونية، وقبل مناقشة هذه الخصائص نعرض لمكانة الشعر عند باكثير:

- يقول د. عبده بدوى:

«كان علىَ أحمد باكثير - رحمه الله - شاعرًا فى كل صغيرة وكبيرة من حياته، ولقد كانت حياته - كالشعر يغلب عليها الشجن، والقلق والغربة، والاغتراب، بالإضافة إلى القهر، كما كان موته كموت بعض أبطال التراچيديا، مليئًا بالمرارة، وبما لم يحسب له حسابًا»[١].

والشعر هو حب «باكثير» الأول فى الأدب الذى دفعه لقراءة كل ماوقع تحت يديه من دواوين الشعر، وهى التى دفعت لتغيير مسار

(١) ص ٢٤٣، خمسة من شعراء الوطنية، الجزء الثالث نقلاً عن مقالة د. «عبده بدوى» فى مجلة الهلال عدد ديسمبر ١٩٧٤م.

دراسته حتى دخل كلية الآداب (قسم اللغة الإنجليزية) لا لشىء ولكن لدراسة أدب شكسبير، وهو ينطلق فى شعره من رؤية قومية عربية إسلامية يقول عن ابتعاث الحضارة الإسلامية:

(لا تعجبوا من انبعاث أمة كان لها السبق قديماً فى العَلى
أولى الحضارات تمت فى أرضها وأشرقت منها رسالاتُ الهدى
وانبثقت منها البطولات التى تلتمس الشعوب مثلها سدى
هل عندكم كالعبقرى «عُمر» أعظم سلطان على الأرض مَشى
هل لديهم قائدٌ كخالد أو كصلاح الدين فى يوم الوفى)[1]

– وكان عاشقًا للأناشيد وله منها رصيدٌ ضخم وأكسب بها القضايا التى مرت ببلاد العروبة والإسلام فكانت تتوقد بالحماسة والانفعال يقول:

(نحن الداعون لذى العظمة من مشرقها حتى العَتمة
الأرض لنا لا للظلمة والويل لهم فى الملحمة)[2]

كان اهتمام باكثير البالغ بقضية فلسطين لانتمائه العربى والإسلامى هو الحافز له لصياغة العديد من قصائده فى موضوع فلسطين، والتى لها ذاتُ الخصائص الموضوعية لأدبه فى تناول اليهودية والصهيونية ومن أبرزها:

٢ – روح التحدى والأمل لا روح الانهزامية والاستسلام: فرغم النكبات المتتالية لم يفقد باكثير أبدًا إيمانه وأمله.

---

(١) ص ٢٧٢، مرجع سابق.

(٢) ص ٢٨٢، مرجع سابق.

فمثلاً فى أرجوزته التى يقول فيها:

(لا قول بعد اليوم يا فلسطين　　لكن فعَال كفعالِ حطينَ
هذا صلاح الدين من سمائك　　يستنفر العربَ إلى ميدانك
وأينا يُدعى فلا يجيب　　صوت صلاح الدين إذ يهيب
كفى كفى قولاً كفى كفى كفى　　هذى بلاد يعرب على شفا
لا مصرنا تبقى ولا العراق　　إن طار من بيننا البراق
وإنما صهيون ملكٌ من ورق　　إن معه عزيمة العرب احترق)[1]

وحتى بعد نكسة ١٩٦٧م نجده يستلهم بثقافته العميقة ويستقى التاريخ، ويضرب المثل من السيرة النبوية الطاهرة، بل ويستمر فى تحديه وإصراره فى إيمان لا يتزعزع فيقول:

المسلمون انهزموا يوم حنين وأحُد
من غفلة بالمسلمين واغترار بالعدو
والمصطفى يُنود عنهُم ويصول كالأسد
هل ضعف الإسلامُ بعد حنينِ وأُحد
وأنجز الرحمنُ ما وعد
وانتشر الهدى؟
ليفعل اليهُود ما شاء الحِرد
ليضربونا بالعمد
وليشربوا من دمنا وليأكلوا منا الكبد

(١) ص ٢٧٦، خمسة من شعراء الوطنية (الجزء الثالث)، د. عبده بدوى، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

فلن نقول غير ما قال «بلال» وهو فى الرمضاء مضروبُ الجسد

أحـــــــــداً أحـــــــــداً أحـــــــداً

هـــيـــهـــات أن نـــخـــضـع أو نـــرتـــعـــد

إمـــــا نـــــكـــــون أبـــــداً

أو لا نـــــكـــــون أبـــــداً

غـــداً ومـــا أدنى غـــداً لـــو تـــعـــلـــمـــون

إمـــا نـــكـــون أبـــداً أو لا نـــكـــون)[1]

٣ –السخرية: حمل شعر «باكثير» أيضًا نبرة السخرية ومن شايعهم فعمد إلى رسم صور مضحكة لإعداء العروبة والإسلام، مثلاً يسخرمن «تشرشل» قائلاً:

(نبا تشرشل إذ يعبر قومه ... بالضعف ينديهم لأخذ الثأر

ويل له، أبـطـنه. أم شدقه ... يكفيهم البلوى أم السيجار

عبد اليهود لهم يعفر خده ... ويـنيل كل كـرامـة ووقـار

من كان فى رق الأسار فكاذب ... فى وعد أمته بفك إسار)(٢)

٤ - إسلامية «باكثير» فى شعره:

وكما صبغ «باكثير» أدبه بذكر العروبة فهو أيضًا قد صبغه بصبغة الإسلام، ونظر إلى قضية فلسطين من منظور إسلامى، ففلسطين بها مقدسات الإسلام والمسيحية وبها المسجد الأقصى الشريف وأيضًا كنيسة القيامة.

---

(١) ص ٢٧٦: ٢٧٧، مرجع سابق.

(١) ص ٢٧٨، مرجع سابق.

(فلسطين. يا أعظم المصاب. استحلها
مناكيد من رجس الخليقة أشرارُ
كسا المسجد الأقصى بها اليوم ذلة
وعاث بآثار النبيين فجار
وأجلى أهلوها فأضحوا يروعهم
شقاء وتشريد وذلٌ وإعسار
أذل شعوب الأرض صار لهم بها
كيانٌ وسلطانٌ وطبل ومزمار
فإن لم يعنها المسلمون بنجدة
صلاحية تروى لها الدهر أخبار
يعود بها الحقُ الصريح لأهله
وتُمحى خطيئاتٌ وتُغفر أوزار
فلن يرتجى للمسلمين كرامة
ولن ينمحى عنهم إلى الأبد العارُ)(١)

– ومن أناشيده التى تتوقد حماسة داعيًا العرب للمقاومة والجهاد يقول فى نشيد بعنوان «وادى اليرموك»:

(يا وادى اليرموكُ يا مجدنا الخالدِ
أنا غداً آتوك يقودنا خالد

(١) ص ٢٨، مرجع سابق.

تبت يد الملعونُ صهيون وتب | لم يغن عنه مالهُ وما كَسب
ولا بنوهُ العابُدون للذهب | غداً سيصلون لَظَى ذات لهب

نحن وقودها الحطب

غداً ومن يعش يره | تشفى الصدور الموغرة
نُرِى اليهود الفجرة | مجزرةً فمجزرة
حتى يكونوا تذكرةً | للدول المؤتمرة
بلادُنا المطهرة | لهم جميعًا مقبرة

وإلى الجهاد فالجهادُ قد وجب!)[1]

(١) ص ٢٨٢، مرجع سابق.

خاتمـــــــة

١ - قضية فلسطين هى قضية العرب والمسلمين الأولى على الإطلاق، وهى قضيةَ حياة أو موت لذا لابد من الاهتمام بها، والعناية بها ومدارسة عناصرها بعناية بالغة ثم الكفاح من أجل الشرف والمقدسات.

٢ - ميدان الأدب هو ميدان مهم للغاية فى الدفاع عن حريات الأمة وكرامتها ومنافحة أعدائها وشحذ الهمم، ولعل (باكثير) هو أكبر رائد للقضية الفلسطينية فى الأدب العربى.

٣ - كما وقع الظلم على فلسطين وقع أيضًا على (باكثير) ولعل وجه التشابه ذلك هو الذى وحد بين الأديب والقضية، وإن كان «باكثير» قد نظر للقضية نظرةً قوميةً وإسلامية وعقائدية شاملة.

٤ - باكثير كان حساسًا للغاية لمتغيرات القضية الفلسطينية فهو أول من تنبأ بكارثة ١٩٤٨م كما تنبأ فى أحاديثه بكارثة ١٩٦٧م، وكان على تمام الإلمام والوعى بالقضية بناءً على ثقافة عميقة ومعاينة عن قرب فكان (رحمه الله) يكتب المسرحية تلو المسرحية والقصيدة تلو القصيدة لا يكل ولا يملُ فى إصرارٍ ممتلئ بالأمل وروح التحدى.

٥ - لم يكتفِ (باكثير) بعرض المشكلة وفقط بل وقدم الحل وهو حل واعى فى تلك المرحلة المتقدمة، ومازال العرب يتنادون بتلك

الوسيلة التى لا بديل لها، وهى وسيلة المقاطعة الاقتصادية ومساندة أصحاب الحق الأمل الأخير للعرب والمسلمين فى القضية.

٦ - كان باكثير أديبًا صاحب رؤية واعية ورسالة ينطلق منها، وكان ارتباطه بالقضية ارتباط عقائدى بالنظر إلى القضية باعتبارها تهديدًا حقيقيًا للوجود، ولا سبيل إلا بالمقاومة وتأكيد الذات والعبور بالأمة من أشنع وأخطر وهدة لها فى تاريخها المعاصر.

٧ - اتسم أدب «باكثير» فى تناول الصهيونية بالعديد من الخصائص منها القدرة على استشراف المستقبل والسخرية من الأعداء والأمل الممزوج بروح التحدى والصمود.

٨ - بلغت المسرحيات السياسية عند «باكثير» قمة النضج الفنى فى المعالجة والحوار والموضوع، وإن كانت سمتها الغالبة تلك السخرية التى يثيرها «باكثير» على الظالمين.

٩ - إن مطالعة أدب «باكثير» تكشف لنا عن العديد من آرائه السياسية وقناعاته الفكرية بحيث يمكن رصد تفاصيل ذلك الفكر، والتى كانت فى معظمها مواكبة للأحداث ومسجلة لتلك اللحظات التاريخية المهمة.

١٠ - من أراد أن يطالع تفاصيل المؤامرة على فلسطين فليقرأ «لباكثير» الذى صاغ القضية بصيغة أدبية اتسم بداية بالمباشرة والخطابية ثم انتقل بعد ذلك للفنية واستخدام الرمز.

١١ - فرق «باكثير» بين اليهودى والصهيونى كما أكد على دور المسيحية مع الإسلام فى الصمود ودحر الصهيونية.

١٢ - قدم «باكثير» صورة أدبية كاملة لخصال الصهاينة وأخلاقهم كما نقض عقائدهم وأوهامهم عن رؤية عميقة للنفسية الصهيونية.

١٣ - كانت رؤية «باكثير» واعيةً للقضية الفلسطينية من حيث أدرك العناصر المختلفة من تلك القضية فإن الكيان الصهيونى كيانًا هش يعانى من أزمات عنيفة تهدد بزواله خصوصًا لو انقطع عنه حبل الناس، ولولا تلك المساعدات والمساندة من العالم الغربى ما قامت واستمرت حتى الأن.

١٤ - انتقد «باكثير» فى أدبه وهاجم وحشية وعنصرية الصهاينة كما عبر عن الطبيعة التوسعية الاستيطانية للصهيونية.

١٥ - والتوصية: قراءة أدب «باكثير» قراءةً متأنية واعيةً ومدارسةِ ما قدمه من رؤى وأشكال أدبية متميزة، والبحث عن آثاره ونشرها فما أحوجنا إليها وقد عصفت بنا الصهيونية وهددت وجودنا ذاته.

لقد نَاديت يا «باكثير» لو أسمعت حيًا.. فهل نعى وندرك حجم الخطر؟!

المصادر والمراجع

أولاً:

القرآن الكريم

ثانيًا:

الكتب

(كتب ودراسات نقدية وأدبية)

١ – على أحمد باكثير فى مرآة عصره، «د. محمد أبو بكر حميد»، مكتبة مصر، ١٩٩١م.

٢ – خمسة من شعراء الوطنية (الجزء الثالث)، د، عثمان أمين وآخرون، المكتبة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م.

٣ – أدباء الستينيات (جيل لجنة النشر للجامعيين)، محمد جبريل، مكتبة مصر، ١٩٩٥م.

٤ – مسرحيات فى الوهج والظل، «علاء الدين وحيد»، سلسلة كتاب الهلال، العدد ٣٠٦، جمادى الثانية ١٣٩٦، يونية ١٩٧٦م.

٥ – المسرحية السياسية فى الوطن العربى، د. أحمد العشرى، سلسلة اقرأ، العدد ٥١٦، دار المعارف.

٦ - مسرحية «إله إسرائيل»، «على أحمد باكثير»، مكتبة مصر.
٧ - مسرحية «شعب الله المختار»، «على أحمد باكثير»، مكتبة مصر.
٨ - مسرحية «التوراة الضائعة»، «على أحمد باكثير»، مكتبة مصر.
٩ - مسرحية «شيلوك الجديد»، «على أحمد باكثير»، مكتبة مصر.
١٠ - مسرحية «مأساة أوديب»، «على أحمد باكثير»، مكتبة مصر.
١١ - «مسرح السياسة»، «على أحمد باكثير»، مكتبة مصر.
١٢ - «فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية»، «على أحمد باكثير»، مكتبة مصر.

(كتب عن اليهودية والصهيونية)

١٣ - الإسلام والتفرقة العنصرية، على شوقى، الطبعة الثانية ١٩٨٧. مطبعة النهضة العربية.
١٤ - اليهود، «د. جمال حمدان»، مكتبة الأسرة ١٩٩٨م، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٥ - العالم الإسلامى المعاصر، «د. جمال حمدان»، مكتبة الأسرة ١٩٩٧م، سلسلة الأعمال الفكرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٦ - إسرائيل التى رأيتها: لاسلام ولا كلام، «عاطف حزين»، دار العقل العربى.
١٧ - «غزوة أحد»، أحمد عز الدين عبد الله، طبعة قديمة بدون ذكر الطابع.
١٨ - معركة الوجود بين القرآن والتلمود، د. عبد الستار فتح الله سعيد، دار النشر والطباعة الإسلامية.

١٩ - فلسطين والأقصى، جمع وإعداد: خيرى أحمد مكاوى، ١٩٩٦م.

٢٠ - الصهيونية، فتحى الإبيارى، سلسلة كتابك، دار المعارف.

٢١ - فلسطين قلب العروبة، محمد فيصل عبد المنعم، سلسلة اقرأ، العدد ٢٩٥، دار المعارف بمصر.

٢٢ - الصراع العربى الإسرائيلى فى خرائط، إعداد: د. خيرية قاسمية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٩م.

٢٣ - اليهودية والصهيونية وإسرائيل، د. عبد الوهاب المسيرى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢٤ - اليهود والتحالف مع الأقوياء، د/. نعمان السامرائى، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر.

٢٥ - الصهيونية والعنف «تقرير سرى جداً من الأراضى المحتلة»، حسين طنطاوى، دار الشعب.

٢٦ - حكايات من شكسبير (الجزء الأول) ترجمة الشريف خاطر، مهرجان القراءة للجميع (مكتبة الأسرة ٢٠٠٠).

٢٧ - مسرحيات شكسبير (١)، العاصفة، تاجر البندقية، ترجمها شعراً: عامر بحيرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢٨ - البحث الأدبى، د. شوقى ضيف، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف.

ثالثًا: المقالات:

٢٩ - مقال: «فى ذكراه: «اليهود فى أدب باكثير»، إبراهيم الأزهرى، ملحق جريدة الأهرام، عدد الجمعة الموافق ٢٠٠٠/١١/٢٤م.

٣٠ - مقال: «شاهدت لك «رطل لحم»، لم يذكر الكاتب، أهرام ٢٠٠١/٣/٢م.

٣١ - مقال: «حول الأدب الإسلامى»، محمد حسن بريغش. ص ٨٧، مجلة الأمة العدد الثلاثون، جمادى الآخرة ١٤٠٣هـ - مارس ١٩٨٣م.

٣٢ - مقال: «البارودى يتذكر»، «عبد الفتاح البارودى»، مجلة أكتوبر، جمادى الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٤/١٠/٢٩م.

٣٣ - مقال: «على أحمد باكثير» أديب متعدد المواهب»، أ د. محمد رجب بيومى، مجلة منبر الإسلام، العدد (٢) ، السنة (٦٠) ، صفر ١٤٢٢هـ - مايو ٢٠٠١م.

٣٤ - مقال: «من تراث باكثير المجهول: رواية الفارس الجميل»، د. حلمى محمد القاعود، مجلة الأدب الإسلامى - السنة الثانية - العدد السابع، محرم، صفر، ربيع الأول ١٤١٦هـ/ يونيو، يوليو، أغسطس ١٩٩٥م.

٣٥ - مقال: «حول الرواية الإسلامية»، فوزى صالح، مجلة الأمة، العدد السادس والأربعون، شوال ١٤٠٤هـ/يوليو ١٩٨٤م.

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org. eg
E - mail : info @egyptianbook.org. eg



الأديب الشاعر والمسرحى «على أحمد باكثير» أديب عربى أصيل، وقد أغنى المكتبة الأدبية العربية بالإبداع فى صنوف القول، والمتأمل لأدب «باكثير» يجده صاحب رؤية واضحة، ووعى قومى، وحساسية فنية بالغة لقضايا الأمة الإسلامية والعربية، لهذا لم يكن غريباً أن يكون الأديب الكبير رائداً لقضية فلسطين فى الأدب العربى، فكان أول من تنبأ بمتغيرات القضية الفلسطينية عام ١٩٤٨م، فى مسرحيته «شيلوك الجديد» والتى كتبها فى غضون عام ١٩٤٤م، ثم توالت نصوصه الأدبية من شعر ودراما وتمثيليات عن القضية العربية الأولى حتى قبيل وفاته مستخدماً تقنيات فنية متنوعة، ومستمداً لموضوعاته من التاريخ والأسطورة والأحداث المعاصرة.

وهذا الكتاب بين أيدينا يرصد ملامح الرؤية الموضوعية والفنية فى شعر ومسرح باكثير فى تناول الصهيونية، راصداً أهم خصائص هذا الأدب من حيث استشراف المستقبل ومزج الواقع بالتاريخ وروح التحدى والصمود.



ISBN# 9789774202965



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٤,٢٥ جنيه